قصص تاريخية مثيرة

اسوأ 20 امرأة فى العالم



فتحى حسين عامر



أسوأ ٢٠ امرأة في العالم

وحوادث غامضة

فتحى حسين عامر

اسوأ 20 أمراة فى العالم

الناشر
مركز الراية للنشر والإعلام

اسم الكتاب: أسوأ20أمراة فى العالم
اسم المؤلف: فتحى حسين عامر
رقم الإيداع:06/24144
الترقيم الدولي: -8-977-354-173 .: I.S.B.N
الاشراف العام : كريم احمد فكرى
المتابعة : شريف احمد فكرى

الناشر
مركز الراية للنشر والإعلام - القاهرة
أسسه أحمد فكري عام 1993
30 ميدان الحسين - مكتبة فكرى
ص. ب 258 العتبة - القاهرة - الرمز البريدي 11511
تليفون: 0020227870906
فاكس: 0020227870906
البريد الإلكتروني: alraya93@yahoo. com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾

(سورة النساء: ١)

الإهداء

أهدى هذا العمل إلى أعظم نساء الكون «أمى»
كما أهدى هذا العمل إلى كل إمرأة تبتغى
سعادة الدارين الدنيا والآخرة وإلى كل إمرأة
تريد أن تغيير من نفسها إلى الأفضل إهداء
إلى كل نساء العالم وأقول لهم: إتحدوا من
أجل خير البشرية والإنسانية!

فتحى حسين عامر

كلمة الناشر

بين وعله زوجة سيدنا لوط وواهلة زوجة سيدنا نوح وراعيل زوجة عزيز مصر وشجرة الدر التى تآمرت على قتل زوجها لتنفرد بحكم مصر وبين ملكة سبأ وملكها الفريد وبين الملكة آمتس فى عهد الفراعنة والملكة تى وكليوباترا وغيرهن من النساء...

إنها قصص مثيرة وعجيبة تشيب لها الشعور وتندهش لها الروايات وتتعجب لها الأساطير... والحكايات بين صفحات الكتاب انفرد المؤلف بسرد أحداث تتزعمها المرأة فيه البطلة والمخرجة والمصورة وليس هذا تحميل على المرأة ذلك الكائن الجميل «الطيف» فهناك من الرجال ما بدر من المكائد ما غلبت عنه الشياطين ولكننا نسردّ هذه الأحداث حتى تكون عبرة بين أيادينا فالتاريخ مثير والقراءة فيه ممتعة فلعلنا نتعظ منه.

الناشر

أحمد فكرى

مدير مركز الراية للنشر

مقدمة

لقد أصبحنا بفعل التطورات التكنولوجية والثورات الاتصالية والفضائيات التى نشهدها اليوم، نعيش فى قرية صغيرة للغاية، أو إن شئت قلت غرف صغيرة متجاورة، يعرف كل واحد فينا الآخر، فأصبحنا نعرف أخبار العالم البعيد عنا فى المسافة المكانية والزمنية، فى لحظات أو ثوان معدودة.. وعندما أردت الكتابة عن المرأة، قد إنتابنى نوعاً من التردد والخوف قليلاً، وذلك لحساسية الكتابة عن هذا المخلوق الرقيق الذى خُلق من ضلع آدم الأعوج!، ولكنى فى النهاية وبعد فترات من التردد، حسمت موقفى بأن أكتب عن المرأة، وكنت أتخيل قبل ذلك أو أفترض أن المرأة كائن رقيق وجميل وحساس، يلجأ إليه الإنسان حتى يسكن إليه، هارباً من ضغوط الحياة وصراعاتها المختلفة، ويجد فيه الإنسان الملاذ والحضن الدافئ الذى لا يمكن أن تجده مع أى شخص أخر فى الوجود!

هذا على الرغم من أن أول جريمة فى تاريخ البشرية كلها، هى جريمة قتل، سببها الرئيسى إمرأة!! عندما قتل قابيل أخيه هابيل بسبب أن الثانى أخذ أو تزوج فتاة أجمل من فتاة قابيل، فقتله قابيل حتى ينال هذه الفتاة الجميلة!

ويقال بأن حواء أول إمرأة فى تاريخ الخلق، والتى خلقت من ضلع آدم، هى السبب أيضا فى خروجه من الجنة! عندما ألحت عليه، لكى يأكلا من الشجرة التى حرّمها الله عليها، ولكنه فعل ذلك، فكانت النتيجة عصيان ربه ونزوله إلى الأرض، دار الفناء والإبتلاء، بعد أن كان فى الجنة الأبدية!!

ويقول المفكر الألماني «هيجل»: إذا وقعت مصيبة ما أو كارثة من الكوارث، فأبحث عن المرأة أو فتش عن المرأة، فسوف تجد أنها سبب هذه الكوارث وتلك المصائب!!

ولكن من ناحية أخرى لا يمكن أن نتخيل المجتمع من حولنا بدون المرأة، فهى نصف المجتمع وفى أحيان أخرى المجتمع كله!!

ولكن مع تطور الزمن وتغيّر الطبائع وتدنى الأخلاقيات والسلوكيات فى المجتمع، تحولت المرأة إلى وحش كاسر، له أنياب كبيرة وأظافر جارحة وأسنان حادة تقتل وتنتصب وتسرق وتصب وتتآمر وتخون وتعشق وتمارس الجنس فى الخفاء، وتمارس مختلف السلوكيات السيئة التى ظننا أنها سلوكيات لا يرتكبها إلا الجنس الخشن أى الرجال. بينما النساء لا يفعلون ذلك، وكأنهن محصنات ضد هذه السلوكيات الخاطئة أو الغير سوية! ولكن فجأة وبدون سابق إنذار وجدنا المرأة خلعت رداء النعومة وارتدت ثوب الخشونة!!

وخلال هذا العمل نعرض لعدد من نماذج للنساء على مستوى العالم. على قدر إجتهادنا وبحثنا، بإعتبارهن من الشخصيات النسائية التى قامت بأفعال غير مقبولة على وجه العموم، وقد لاقت إستهجان واستنكار ورفض المجتمع لها، قد قمنا بوصفهن مجازاً.. «بكلمة أسوأ»، وقد تكون هذه الكلمة قاسية إلى حد ما ولكننا نقصد بها أن أفعال هؤلاء النسوة لم تكن أفعال حميدة بل كانت أفعال خبيثة، على الأقل من وجهة نظرى.. ولانبتغى من وراء ذلك إلا خير الوطن الذى ننتمى إليه ونسعى من أجله ومن أجل رفعته.. سائلاً المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتى يوم ألقاه.

فتحى حسين عامر

واعلة زوجة سيدنا لوط عليه السلام

يذكر القرآن الكريم أن سيدنا لوط عليه السلام كان قد هاجر بعد أن آمن بدعوة عمه إبراهيم عليه السلام إلى الشام واستقر بمدينة سدوم بالأردن، وكان أهل هذه المدينة لا مثيل لهم فى الفسق والفجور والإنحلال، وقد إنهارت عندهم القيم الأخلاقية بأكملها، إلى حد بلغ أنهم كانوا يتخذون الرجال شهوة من دون النساء، وهذا ما لا يقبله عقل ولا دين.

حيث بدأ لوط عليه السلام فى إبلاغ قومه، وتوعيتهم بأن ذلك الطريق الذى يتخذونه مؤد إلى الهلاك وسوء المصير، إذ قال لهم: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[1].

إلا أن هؤلاء القوم إزدادوا كفراً، وإمتلأت حياتهم بالشهوات، وزاغوا أبصارهم وبصائرهم، تحللوا من كل قيد، وهاموا مع شهواتهم تستعبدهم وتسترقهم، فعبدوا شيطان الجنس من دون الله!!

وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾[2].

ولم يكفهم كفرهم وإنحلالهم، بل أنهم سخروا من لوط عليه السلام، وبمن التف حوله من المؤمنين، فما كان ردهم عليه إلا أن قالوا: «أخرجوهم من

(١) سورة الأعراف الآية: ٨١.	(٢) سورة الشعراء الآيات ١٦٠ ـ ١٦٦.

قريتكم إنهم أناس يتطهرون».

فكأن الطهارة عندهم عار يجب القضاء عليه وإبعاده عنهم حيث لا يمسهم، ولازال القوم يمارسون فجورهم، ودعارتهم، ولا يتورعون من أى فعل يفعلونه، حتى أرسل الله تعالى ملائكته على هيئة بشر فى بيت سيدنا لوط، وبالطبع كانوا يمتازون بالجمال الفائق الساحر الذى لم ير من قبل.

ولم يحدث ما كان متوقع من هذه المرأة - زوجة سيدنا لوط - تجاه زوجها، بل وقفت ضد زوجها وكفرت برسالته، وساعدت أيضاً على نشر الفساد والإنحلال.

ويذكر أن «واعله» عندما رأت هؤلاء الضيوف، وقد وصلوا إلى بيت لوط، حيث أنها لم تكن تعلم أنهم ملائكة من عند الله، أسرعت فى الخفاد إلى القوم لتخبرهم بما فى بيت لوط، وأسف لوط أسفاً شديداً، وضاق لما يحدث من هؤلاء القوم الذين هموا للوصول إلى بيته ليلقوا ضيوفه. فقد إعتادوا على فعل الفاحشة سراً وعلانية، ولن ينفع معهم رجاء.

ولقد ساءه مجيء هؤلاء الضيوف عنده. لظنه أنهم من بنى آدم. وهو يعلم إنحراف قومه وفجورهم، فخاف عليهم منهم.

ويذكر القرآن الكريم أن سيدنا لوط كان وحيداً ولم يستطيع التغلب على أولئك الفجار، فما كان عليه بعد تأزم الموقف إلا أن يعرض عليهم بناته بدلاً من ضيوفه حتى لا يفتضح فى ضيفه فقال لهم أن ذلك أطهر لهم وأبعد عن الفحش، وتمنى أن يكون منهم أحداً يهتدى إلى الحق، فيكفيهم عن السوء.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾(١).

ويقول أيضاً سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾(٢).

(١) سورة هود الآيات: ٧٧، ٧٨.
(٢) سورة هود الآية: ٧٨

وكان من الصعب على نفس سيدنا لوط ﷺ، وهن بناته الطاهرات العفيفات، إلا أنهم تكبروا وأصروا على فعلهم المخزى، وقالوا له أنهم ليسوا فى حاجة إلى بناته لأنهم لا يشتهوا النساء، ويقول عز وجل: ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾(١).

وعندئذ تمنى لوط أن تكون لديه القدرة والقوة على دفعهم، أو يكون به سند من عشيرة قوية تساعده فى صدهم عنه.

وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾(٢).

وكانت رحمة الله كبيرة على المؤمنين، فعندما دخل القوم وأرادوا الإحاطة بالضيوف، والا وطمس الله عيونهم، فعمى أبصارهم، وحل بهم الهلاك المدمر، فولوا هاربين.

ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾(٣).

ويذكر القرآن أن القوم ضاقوا بما فعل بهم ضيوف لوط وأصروا على الانتقام من لوط، لما أصابهم من عمى، وكادت أن تحدث ثورة عارمة من أهل المدينة لينتقموا لذويهم.

على الرغم من زوجة لوط كانت من آل البيت إلا أنها كانت هى السبب فى تلك الفاجعة التى حلت على البيت، لكنها لا تبالى بما حدث فقد كانت إمرأة عاصية.

وتوجه بعد ذلك لوط إلى الله بالدعاء بقوله: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة هود الآية: ٧٩.

(٢) سورة هود الآية: ٨٠.

(٣) سورة القمر الآية: ٣٧.

(٤) سورة الشعراء الآية: ١٦٩.

واستجاب الله تعالى لدعاء نبيه لوط ﷺ فقد كان فى ساعة عصيب لم يجد فيها إلا أن إلى ربه حتى يفك كربه وحزنه، فنادته الرسل الذين هم ضيوفه فى صورة بشر فقالوا له، أنهم رسل من عند الله وأن هؤلاء القوم لم يستطيعوا أن يصلوا إليه ويسببون له أى أذى. وأمروه بأن يخرج هو وأهله أخر الليل، ولا ينظر أحداً منهم وراءه لكى لا يرى هول العذاب، إلا امرأته فلا يخرجها معه، لأنها كانت راضية عن المفسدين ومتآمرة معهم ضده، فالعذاب محقق لها، ولا نجاة لها من عذاب الله، جزاء معصيتها وخيانتها.

وفى ذلك يقول عز من قائل: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾(١).

وبالفعل نفذ لوط ما أمره به رسل الله، حيث خرج من أهله، وهم بناته، والذين آمنوا معه، وترك زوجته كما أمروه، لأنها كانت من الكافرين فليس لها إلا أن تهلك مع الهالكين.

ومضوا دون أن يلتفتوا وراءهم كما أمروا.

ولا يكادوا أن يذهبوا بعيداً عن المدينة إلا وسمعوا صوت الصواعق، وإنتقام السماء من الكفرة والفجرة، حتى أصبحوا جاثمين مهلكين. فقد دمر الله المدينة بما فيها بأن جعل عاليها سافلها.

وأرسل عليهم حجارة من السماء كالمطر، ليهلك من كان خارجها ولم يهلك حينما قلبت. فنزلت عليهم الحجارة متلاحقة، وراء بعضها، وخاصها الله تعالى لعذاب الظالمين، فلا تصب غيرهم.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾(٢).

(١) سورة هود الآية: ٨١. (٢) سورة هود الآيات: ٨٢، ٨٣.

وبهذا نجى الله نبيه لوط من هؤلاء القوم، وكذلك نجى أهله من الدمار الذى حل بالظالمين الفاسقين فى المدينة، وكذلك كان جزاء إمرأته التى كانت مثال الشر، فلن يعفيها الله من العذاب، لكونها زوجة لوط.

وقال عز وجل: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾(١).

وهكذا إتصفت زوجة بأنها تتصف بالشذوذ العقلى والفكر السقيم، فهى لم تؤمن بدعوة لوط للتخلق بالفضائل الحسنة، والإيمان بعقيدة التوحيد. لكنها لم تكتفى بذلك، بل إنها آثارت العدوانية على أهل بيتها، فربما يكون قد أصابها الحسد، وإذا ما أصاب الحسد إنساناً، فإنه تختل فيه كل الموازين.

وكانت هذه المرأة تساعد هؤلاء القوم الفاسقين بهدف الحصول على المال. فكان من الصعب عليها أن تعبد الله وتعبد فى الوقت نفسه المال.

وكانت نهاية إمرأة لوط الصعق والتدمير من الله سبحانه وتعالى، ولا يزال ينتظرها عذاب الآخرة جزاء لعملها، فقد ضرب الله بها المثل فى القرآن الكريم لتكون نذيراً للكافرين بسوء المصير.

ويقول عز وجل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾(٢).

(١) سورة الأعراف الآيات: ٨٣، ٨٤.

(٢) سورة التحريم الآية: ١٠.

«واهلة» زوجة سيدنا نوح ﷺ

ما أصعب أن يجد المرء أن شريكة حياته ورفيقته، ورفيقة عمره لا تقف بجانبه، وهو فى ساعة الشدة، محاولاً إصلاح المجتمع من حوله، كما أنه ما أحوج الإنسان فى ساعة الظلمة إلى كلمة رقيقة، أو دمعة هادئة مترقرقة، أو نظرة صامتة آسية، أو شعور يظهر بكيفية ما يدل على المشاطر والمشاركة والمواساة.

وهذه المشاعر والمشاركة الزوجية كانت لابد أن تتوافر فى «واهلة زوجة نوح ﷺ»، حينما كان ـ نوح ـ على وشك اليأس من هواية الناس الذين تجمعت على عيونهم سحب من الغيث حجبت عنهم الحقيقة. إلا أنها كانت من هؤلاء القوم الفاسقين، ولم ترع أنها زوجة نبى من أنبياء الله، ووقفت ضد زوجها مع الكافرين، بل وصل بها الفجور والكفر إلى إتهامه بالكفر أمام القوم، لتتفى ما يقوله لهم، ليديهم إل الطريق المستقيم.

ولكن سبحانه وتعالى لم ولن يرحمها من عذابه لكونها زوجة نوح، ولن يشفع ذلك لها من العذاب الأليم، إنما جزاؤها جهنم وبئس المصير، فكما ضرب الله مثلاً فى القرآن الكريم للمرأة الصالحة لتكون أسوة حسنة للنساء المؤمنات، كذلك ضرب مثلاً للمرأة الفاسقة، الكافرة، حتى تكون عبرة لمن إتبعتها من النساء، وتتجنبها التائبات الصالحات، وتكون حذرة من الوقوع فى مثل خطأها.

ويقول عز وجل فى كتابه الحكيم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم: ١٠).

وقوله عز وجل «فخانتهما» معناه إخفاء كفرهم، ومعاونة الكافرين، فالخيانة فى هذه الآية تعنى كفرهم بالله تعالى وبتصديق أو أنبياء الله.

ولم تكتف إمرأة نوح بكونها كافرة فقط، بل تعدت ذلك إلى الإيذاء والسخرية من زوجها، وتحريض القوم على الأضرار، حينما شرع فى صنع الفلك، لينجو هو ومن آمن معه الطوفان الذى سيعم البلاد، ويجف به الله الكافرين.

ويذكر القرآن الكريم أن عصر نوح ﷺ قد ساد فيه الفساد والعبث والشرك بالله، وضل الناس سبيلهم، وكان الظلم هو السائد فى الأرض، وصرف المجتمع عن طريق الحق، ولم يبق له إلا الانحراف والضلال وإعوجاج السلوك.

فإختار سبحانه وتعالى نوحاً ليكون رسولاً للبشر، يخرجها من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الحقيقة، من الانحراف إلى الإستقامة، من ترك عبادة الأوثان وتعدد الآلهة إلى عبادة الإله الواحد القهار خالق السموات والأرض وخالق البشر أجمعين.

ويقول عز من قائل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

حيث بدأ سيدنا نوح ﷺ رحلته مع البشر وتبليغه لرسالة ربه، وأخذ يدعو الناس لترك عبادة الأوثان، وترك العادات والتقاليد الفاسدة والمؤدية إلى طرق جهنم وبئس المصير.

فقال لهم كما جاء فى القرآن الكريم: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة نوح الآية: ١.

(٢) سورة نوح: الآيات ٢، ٣، ٤.

ولكن القليل من الناس هم الذين آمنوا برسالة نوح ﷺ بينما الكثير من القوم كانوا أكثر فسقاً وكفراً، فقد أغناه الله بالمال، لكنهم تكبروا وضلوا، وأخذوا يستتكرون ويستهزئون بكلام نوح، ووصل بهم المطاف إلى إتهامه بالجنون، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى:

- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾(١).

ولم يكل نوح ولم ييأس، بل ظل يستمد من الله تعالى العون والقوة والصبر ويدعو قومه ليلاً ونهاراص لا يقصر ولا يمل ولا ييأس محاولاً الولوج إلى أعماق قلوبهم وعقولهم، إلا أنهم أصروا على الاستكبار، وكأنهم لم يسمعوا ما يقول لهم، بل إزدادوا بعداً ونفوراً من الإيمان وأصروا على كفرهم.

ويحكى القرآن ذلك في قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾(٢).

ولكن قوم نوح ظلوا على ضلالتهم وغيهم إلى درجة وصلت بهم إلى أن ضاقوا به ذرعاً به وبحجته وقالوا له: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(٣). فتوجه نوح ﷺ إلى الله سبحانه وتعالى قائلاً:

- ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ۝ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾(٤).

ثم توجه بالدعاء مرة ثانية قائلاً: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ۝ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ

(١) سورة القمر الآية: ٩.

(٢) سورة نوح الآيات: ٥ ـ ٧.

(٣) سورة نوح الآية: ٣٢.

(٤) سورة نوح الآيات: ٢١ ـ ٢٤.

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾(١).

ثم أوصى الله إلى نوح الذى لم يتخلى عن نبيه - الذى أرسله لإهداية الناس لطريق الحق وعبادة رب الكون، أن يصنع السفينة التى ستنجيه هو ومن آمن معه من الغرق الذى سيجرى بالقوم الكافرين. فيقول عز وجل: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(٢)، وقال له تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾(٣).

ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾(٤).

ثم بدأت علامات حدوث الطوفان تظهر حينما فرغ نوح من إعداد السفينة حيث فار التنور بالماء، فأمر الله نوحاً أن يركب السفينة هو ومن آمن معه، وأن يأخذ معه كل الكائنات الموجودة من ذكر وإنثى وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٥).

وعندما ركب نوح ﷺ السفينة، كانت إمرأته من الرافضين للركوب، ورفض إبنه كنعان أيضاً ركوب السفينة وآثر الإيواء إلى جبل ظاناً أنه سيقيه ويحميه من الغرق. وحدث الطوفان وغرف الذين كفروا، وظلت السفينة تموج بالمؤمنين فى موج كالجبال بعناية وتدبير من الله عز وجل وبهذا تحقق دعاء نوح لربه، فأهلك جميع الكافرين بما فيهم زوجته وابنه الذى عصى أمره، وكان من الكافرين.

وفيها يقول عز وجل: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ

(١) سورة هود الآية: ٣٦. (٢) سورة هود الآية: ٣٧.

(٣) سورة هود الآية: ٣٨. (٤) سورة هود الآيات: ٤٠، ٤١.

وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴿٤٢﴾ قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾(٢).

ولقد حزن نوح على ابنه كنعان حزناً شديداً أكثر من حزنه على زوجته قائلاً: ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾(٣).

فقال له سبحانه وتعالى كما جاء في نفس السورة: ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾(٤).

وقد أحس نوح بأنه مخطئاً في سؤاله هذا فقال لربه: ﴿رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾(٥).

فقال له سبحانه وتعالى: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾(٦).

وإنتهت بذلك قصة واهلة زوجة نوح ﷺ التي تعتبر نموذج لمرأة الكافرة بسوء المصير، وهذه القصة هي عبرة وعظة لأي امرأة تسلك طريق الانحراف والضلال.

(١) سورة هود الآيات: ٤٢، ٤٣.
(٢) سورة هود الآية: ٤٤.
(٣) سورة هود الآية: ٤٥.
(٤) سورة هود الآية: ٤٦.
(٥) سورة هود الآية: ٤٧.
(٦) سورة هود الآية: ٤٨.

«راعيل»

زوجة عزيز مصر في عهد سيدنا يوسف عليه السلام

إمرأة العزيز تغوى يوسف ﷺ!

يذكر القرآن الكريم قصة إمرأة العزيز التى أغوت نبى الله يوسف ﷺ، فقد سرد القرآن القصة كاملة دون أى إسراف أو تقصير فى السرد. وبأسلوب جميل ومشوق يجعل كل من يقرأ آيات سورة يوسف يتصور الموقف الذى وقع فيه سيدنا يوسف ﷺ مع زوجة عزيز مصر ـ آنذاك. وكان من أغوى النساء فى عهد نبى الله يوسف ﷺ إمرأة العزيز بما إتصفت به من إنحراف ومكر ومكيدة. فقد كانت إمرأة لعوباً تملك خيالاً دائب التوثب، وأعصاباً دائمة الإتقاد. وحواء دائمة التنبيه والتيقظ. متأججة بحب المرح والحياة إنها تحب مهازل الحب وفواجعه. أكثر مما تحب الحب نفسه.

ويذكر أن اسم إمرأة العزيز هو راعيل بنت رعبئيل. وتعرف بزليخة وهى زوجة لقطفير الوزير الأول لفرعون مصر. وفى نفس الوقت بنت حت الملك. ولقد كان يوسف ﷺ أحب إلى أبيه يعقوب من أخوته فقد كان يعقوب يحب يوسف حباً شديداً، مما غرس فى نفس باقى الأولاد الحقد والغيرة على أخيهم يوسف ﷺ.

وكانت الحكمة الإلهية العظيمة فى ذلك تمثلت فى غرس حب يعقوب ليوسف، حتى يحدث ما حدث، وينتشر دين الله فى الأرض. حيث رأى يوسف ﷺ بالرغم صغر سنه فى منامه رؤيا تدل على أنه سيكون نبياً من أنبياء الله. فكان يقص الرؤيا على أبيه، وفى قوله عز وجل فى سورة

يوسف: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (يوسف: ٤ ـ ٦).

وبعد ذلك أدرك يعقوب ﷺ بأن هناك بشرى من الله عز وجل بأنه سيجعله نبياً من أنبيائه فى الأرض، لذلك طلب من ابنه يوسف ﷺ ألا يقص تلك الرؤية على إخوته حتى لا يكيدوا له. ويملأ الحق والحسد قلوبهم على أخيهم. حيث دخلت الكراهية فى قلوبهم، وأدكوا بضرورة التخلص من أخيهم يوسف حتى يرق لهم قلب أبيهم، الأمر الذى جعلهم يخططون لأخذ يوسف من أبيه، فقالوا لأبيهم كما جاء فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (يوسف: ١١، ١٢)، ولكن الأب رفض فى البداية خوفاً عليه. ثم وافق، فقال لهم كما جاء فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (يوسف: ١٣)، فكانت اجابتهم: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ (يوسف: ١٤).

واستطاعوا بقدرتهم الكبير على المكر والدهاء والقدرة على الإقناع أن يقنعوا أباهم فسلم يوسف إليهم، فتهيأت لهم بذلك فرصة التخلص منه، وعندما وافق على طلبهم وتهيأت لهم بذلك فرصة التخلص منه، قد وجد بعضهم فرصة قتله، ورأى البعض الآخر التخلص منه عن طريق إلقائه فى الجب وهو بئر عميق، ولكن الرأى الأخير الذى اجمعوا عليه هو أن يلقوه فى الجب، كما فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ﴾ (يوسف: ١٥).

ثم رجعوا إلى أبيهم يعقوب وهم يبكون ويتلونون بألوان الحزن على

وجوههم وبكاء التماسيح فى عيونهم وكأنهم أصابتهم مصيبة وهم يحملون قيمص يوسف ﷺ ملوثاً بالدماء والكذب، وقد حكى ذلك القرآن الكريم فى قوله عز وجل: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ﴾ (يوسف: ١٦ ـ ١٨)، ولكن قلب أبيهم يعقوب لم يكن يطمئن لكلامهم ويشعر دائماً بأنهم كاذبون. وأن الحل فى هذه المشكلة هو الصبر على أذاهم وكذبهم، ويقول سبحانه وتعالى فى ذلك على لسان يعقوب: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾

(يوسف: ١٨)

ولم ير يعقوب فى ذلك إلا أن يتحمل الصبر، حيث أنه يعلم أن الله سبحانه وتعالى لن يتركه على هذا الحال، فكان يعلم فى نفسه وبقدرة من الله أن إبنه سوف يرجع إليه ويراه مرة أخرى.

ويذكر القرآن الكريم أن سيدنا يوسف ﷺ ظل قابعاً أو جاثـياً فى غياهب الجب، يرعاه الله إلى أن شاء أن يخرجه. فصادف أن مرت قافلة بجوار البئر، فذهب أحد أفراد القافلة ليجلب لهم ماء حتى ترتوى من عطش الطريق، فأدلى دلوه فى البئر فتعلق به يوسف ﷺ، وفرحت به القافلة لاعتباره بضاعة رابحة فى ذلك الوقت ويقول سبحانه وتعالى فى ذلك: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (يوسف: ١٩).

حيث إتفقت القافلة على بيعه فى مصر، حيث مسقط رأس القافلة ومكان تجارتها، وتم بيعه، ولكن بثمن بخس. وإشتراك قطفير وهو الوزير الأول لفرعون مصر ـ آنذاك ـ وكانت زوجته هى زليخة التى قامت بتربيته وأكرمت مثواه كما أمرها زوجها بذلك، ويحكى القرآن ذلك بقوله عز وجل: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ

من مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ (يوسف: ٢٠، ٢١).

وكانت حكمة الله فى ذلك عظيمة من أجل أن يكتب ليوسف النجاة، ويكون من أنبيائه فى الأرض ويعلمه من تأويل الأحاديث، وحتي ينشر دعوته ويبلغ رسالته، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).

وبذلك كبر يوسف وترعرع فى بيت العزيز، وقد تولت تربيته زليخة زوجة العزيز، وشب على أحسن الخلق، وبلغ سن الشباب وإكتملت رجولته، وأصبح شاباً فاتناً يكاد يفتن النساء فى ذلك العصر، وكان يقال بأنه كان يمثل شطر الجمال فى ذلك العصر، وقد ورث هذا الجمال الفتان عن جدته سارة.

وبدأت المرأة اللعوبة إمرأة العزيز رحلتها وآلاعيبها الماكرة مع يوسف، بعدما إفتتنت به، وشغفت به حباً، وطار صوابها هياماً فى جماله، وتعلقاً به. وأخذت تداعبه، وتلاطفه، وتظهر له محاسن أنوثتها، وتغريه بعواطفها نحوه لكنه كان يعرض عنها لإيمانه الشديد بالله ولطهارته من الأرجاس، وإعترافه بفضل زوجها ذلك الرجل الذى أكرم مثواه، وتربى فى بيته. ونشأ وترعرع، فكيف يخون من أكرمه؟ وكيف يقابل الإحسان بالفاحشة وهو - أى يوسف - الكريم ابن الكريم ابن الكريم كما قال عنه رسول الله ﷺ: **«فهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام»**.

ولم تهدأ رغم ذلك عاطفة إمرأة العزيز الأنثوية ورغبتها فى أن تمارس الحب والعشق مع يوسف ﷺ، ولم يطفىء إعراضه عنها من لهيب قلبها، فصارحته بالقول، ودعته إلى نفسها، وأخذت تستعد، وأغلقت أبواب الحجرة عليها، وصممت على أن تنال منه وتجنبه أو ت غويه لكى يمارس معه - الجنس والعشق، وذلك بعدما إرتدت أفخم الثياب وأكثرها إثارة وإنجذاب.

ويقول سبحانه وتعالى فى ذلك: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

(يوسف: ٢٣)

ولكن يوسف أبى ذلك واستمر على رفضه لمشاعر وأحاسيس تلك المرأة، وإستطاع أن يرد عليها بكل أدب وإحترام شديد لأنها هى التى تولت تربيته ورعايته، وهى زوجة الرجل الذى تكفل بتربيته وراعاه فكيف يكون جزاؤهما ذلك.. فلقد منعه إيمانه بالله تعالى عنها. وبالرغم من تشجيعها له فى ذلك الموقف بعدما هيئة له ولها كل الظروف المشجعة على ذلك، وهى إمرأة جميلة ومثيرة، ومن السهل أن ينجذب إليها أى إنسان فى مثل هذه الظروف إلا أن الله تعالى أراد ليوسف الابتعاد عن تلك الفاحشة. وعصمه من السوء والخطأ، وفى ذلك قال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤).

وفى هذه الآية، إختلفت الأراء وتباينت التفسيرات حول المراد بواقعة الهم، فقد وجر فخر الرازى أن يوسف ﷺ كان بريئاً عن العمل الباطل والهم المحرم. ويقول أيضاً بأن الدلائل الدالة على وجود عصمة الأنبياء كثيرة، فالزنا من منكرات الكبائر والخيانة فى معرض الأمانة أيضاً من منكرات الذنوب، أيضاً مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد أيضاً من منكرات الذنوب، وأيضاً الصبى إذا ترى فى حجر إنسان ويقى مكفى المؤنه مصون العرض من أول صباه إلى زمان شبابه، وكمال قوته فإقدام هذا الصبى على إيصال أقبح أنواع الإساءة إلى ذلك المنعم المعظم من منكرات الأعمال إذا ثبت هذا فنقول إن هذه المعصية التى نسبوها إلى يوسف ﷺ كانت موصوفة بجميع هذه الحركات الأربع، ومثل هذه المعصية لو نسبته إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كلخير

لاستنكف منه.

وفى تفسير ذلك يقول سيد قطب فى تفسيره: «أما الذى خطر لى وأنا أراجع النصوص، وأرجع الظروف التى عاش فيها يوسف ﷺ فى داخل القصر مع هذه المرأة الناضجة فترة من الزمن طويلة، وقبل أن يؤتى الحكم والعلم، وبعد ما أويتها، الذى خطر لى أن أقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف: ٢٤).

ويقول سيد قطب بأن هو نهاية موقف طويل من الإغراء، بعده أبى يوسف فى أول الأمر واستعصم، وهو تصوير واقعى صادق الحالة النفس البشرية الصالحة فى المقاومة والضعف، ثم الاعتصام بالله فى النهاية والنجاة، ولكن السياق لم يفصل فى تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتعارضة المتغالية لأن المنهج القرآنى لا يريد أن يجعل من هذه اللحظة معرضا يستغرق أكثر من مساحته المناسبة فى محيط القصة وفى محيط الحياة البشرية المتكاملة كذلك، فذكر طرفى الموقف بين الاعتصام فى أوله والاعتصام فى نهايته، مع الإلمام بلحظة الضعف بينهما ليكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف جميعاً وهو أقرب إلى الطبيعة البشرية وإلى العصمة النبوية وما كان يوسف سوى بشر فعم إنه بشر مختار ومن ثم يتجاوز همه الميل النفسى فى لحظة من اللحظات فلما أن رأى برهان ربه الذى نبض فى ضميره وفى قلبه بعد لحظة الضعف الطارئة عاد إلى الاعتصام والتأبى.

ثم بعد ذلك بادر يوسف ﷺ بالإسراع نحو الباب فراراً منها، وهى تتشبث فيه فأمسكت ثوبه وجذبته إليها، فتمزق قميصه من الخلف، وهمّ يوسف ﷺ بفتح الباب، فوجد زوجها أمامه، وفى مثل هذا الموقف تملكت الحيرة يوسف، ووقفت مذهولاً أمام تلك المرأة التى نزهت نفسها عن فعلتها الفحشاء فى براعة فائقة لم يكن يتخيلها يوسف وحولت نفسها من جانية إلى مجنى عليها!

حيث سارعت إمرأة العزيز باتهامه بأنه هو الذى كان يريد بها سوء وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

وما كان من يوسف ﷺ إلا أن يدافع عن نفسه وقال: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾(٢).

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يظهر الحق بعدما كان يوسف ﷺ أن ييأس، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾(٣).

وكانت براءة يوسف ﷺ على يد أحد أقارب زوجة العزيز. فقال كما جاء فى قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(٤).

وتحققت بعد ذلك براءة يوسف ﷺ، عندما رأى زوجها ـ أى زوج راعيل ـ وهو عزيز مصر ـ آنذاك ـ أن قميصه مزق من الخلف، وهذا دليل على أنه كان يهرب منها وهى تلاحقه، ودليل قاطع على صدق يوسف وبراءته من تلك الفاحشة. ثم طلب زوجها بعد ذلك نسيان ما حدث والأعراض عن الحديث فيه؛ حتى لا ينتشر هذا الخبر فى المدينة. وأمر زوجته بالاستغفار إلى الله عن فعلتها هذه..

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾(٥).

(١) سورة يوسف الآية: ٢٥.
(٢) سورة يوسف الآية: ٢٦.
(٣) سورة يوسف الآية: ١١٠.
(٤) سورة يوسف الآيات: ٢٦، ٢٧.
(٥) سورة يوسف الآيات: ٢٨، ٢٩.

وأنتشر هذا الخبر عن مراودة إمرأة العزيز ليوسف في كافة ربوع المدينة، كما يحكي القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(١).

فأرادت امرأة العزيز أن ترى نساء المدينة يوسف ﷺ حتى يلتمسون لها العذر على فعلتها هذه! فأرسلت إليهم، وأعطت لكل واحدة سكينا وقدمت لهن طعاماً يقطع بالسكين، وعندما خرج إليهن يوسف، جرحت أيديهن أثناء تقطيع الطعام، وذلك لشدة دهشتهن نظراً لجمال وحسن صفات يوسف وصفاذه ونقائه وشدة طهارته.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾(٢).

ولم تكتف إمرأة العزيز بما فعلته بل أحضرت النساء، بل وهددته بالسجن والعذاب الأليم إذا لم يستجيب لرغبتها وإذا أفلت منها، فماذا إذن عن باقي النساء اللاتي ملأ الحديث عن يوسف أفواههن! فتوجه يوسف إلى الله عز وجل يدعوه لكي يصرف عنه كيد تلك النسوة حتى لو كان هذا بدخول السجن، وذلك أحب إليه من أن يفتتن بأحد النساء، فالنفس أمارة بالسوء.

واستجاب الله لدعاء يوسف ﷺ، وبدأ للعزيز أن يسجنه حتى يضع حداً لهذه الأقوال والإشاعات التي إنتشرت في المدينة عن يوسف وزوجة العزيز وذلك حتى يتناسى الناس الحديث عن هذه الفضيحة التي أثارتها زوجته.

(١) سورة يوسف الآية: ٣٠.

(٢) سورة يوسف الآيات: ٣١ ـ ٣٢.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾(١).

ودخل يوسف السجن وهو برىء، حتى يهرب من إمرأة دفعتها عواطفها الأنثوية لإتكارب فاحشة محرمة.

وداخل السجن، وجد اثنان من المسجونين أحدهما صاحب طعام الملك والآخر صاحب شرابه، وقد رأى كل منهما رؤية وقصها على يوسف. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

وكان يوسف عليه السلام يجيد تفسير الرؤى، فهي معجزة أعطاها الله له حتى ينشر رسالة الحق، ويدعو إلى الدين السليم، وهو عبادة الله الواحد القهار.

ونجح في تفسير تلك الرؤيا لزميليه في السجن قائلاً: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾(٣).

وظل يوسف فى السجن عدة سنوات يدعو المسجونين لدين الله. وفى ذات الأيام رأى الملك فى منامه أن سبع بقرات جميلات سمينة فى روضة، ثم رأى سبع بقرات أخرى عجافاً أكلت البقرات السمينة، ثم عاد ورأى سبع سنابل خضراء، وسبع سنابل يابسات تخلفها.

فطلب تفسير هذه الرؤيا، فأجمع الكهنة والعرافون على أنها أضغاث

(١) سورة يوسف الآيات: ٣٣ ـ ٣٥.
(٢) سورة يوسف الآية: ٣٦.
(٣) سورة يوسف الآية: ٤١.

أحلام وليس لها تفسير سوى ذلك، ولكن الملك لم يهدأ له بال، وظل يفكر فى الأمر، وقد علم أن هناك فى السجن رجلاً صالحاً كثير العلم، كثير الطعام، استطاع أن يفسير منامين، وصدق فى ذلك.

فطلب الملك أن تقص تلك الرؤيا على يوسف، فذهب أحد حاشيته ليوسف وقص عليه رؤيا الملك، فكان جوابه أن مصر سوف يأتى عليها سبع سنين تجود فيها الأرض بالغلات الوافرة، ثم سبع سنين مجدبه تاتى على المخزون من السنين السبع المتقدمة، ثم بعد ذلك تأتى أعوام الخصب والرغد، وأن عليهم أن يقتصدوا الجدب وجدوا فى مخازنهم ما يكفى لحاجتهم إلى أن يأتى الخصب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾(١).

وارتاح الملك لهذا التفسير من يوسف وشعر فيه بشىء من الصدق والجدية فأمر على الفور بإحضار يوسف من السجن ليرى هذا الرجل الذى عنده من العلم والفضيلة. ولكن يوسف رفض الخروج من السجن حتى تظهر براءته. فوافق الملك، وطلب بإحضار النسوة ليسألهن عن محاولتهن خداع يوسف.

فما كان جوابهن إلا أنهن لم يلمسن فيه شيئاً يشين، بل كان نعم الرجل الصالح الطاهر.

فما كان من زوجة العزيز إلى أن اندفعت وإعترفت بفعلتها بأنها حاولت مراودة يوسف عن نفسه بإغرائه، لكنه إستمسك وأبى، فحفظه الله وصرفه

(١) سورة يوسف الأيات: ٤٦ ـ ٤٩.

عن السوء، وهو من الصادقين. وأكدت أنها لم تتمادى فى تلك الخيانة أثناء وجوده فى السجن، فالله لا يهدى كيد الخائنين.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۝ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وبهذه الكلمات تبين للملك وللناس جميعاً براءة يوسف من هذه التهمة، وطهارته وعفته بالبرهان القاطع.

فإنتهت بذلك قصد إمرأة العزيز، وطلب بعدها الملك أن يستخلص لنفسه، فرآه الملك، وإنشرح صدره له وجعله وزيراً للخزائن ومخازن الغلال ليباشر بنفسه تنفيذ ما فسره من رؤية الملك.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة يوسف الآيات: ٥٠ ـ ٥٣.

«شجرة الدر»
المرأة التى تآمرت على قتل زوجها
لتنفرد بحكم مصر

شـــجرة الـــدر

مقدمة

عاشت شجرة الدر التى حكمت مصر وإعتلت العرش الكبير أيام عصر الملك الصالح، ثم الملك عز الدين إيبك، وكانت مكرمة وجليلة، ذات نفوذ قوى وكبير، وإتصفت بالذكاء الشديد عندما أخفت خبر وفاة زوجها الملك الصالح حتى لا يؤثر ذلك على معنويات الجنود المصريين وليمنع شعورهم بالاحباط.

ولاتزال سيرة شجرة الدر تروى، وهناك العديد من النساء من تتمنى أن تقوم بشخصية شجرة الدر وذلك لقوة نفوذها، وذكائها ودهائها، وقدرتها العجيبة فى الحجم. وقد خلد التاريخ ذكراها، وذكر الخدمات التى قدمت للمسلمين ومصر، إلا أن غيرتها على كبريائها وكرامتها، كانت السبب الذى دفعها لإرتكاب تلك الجريمة، التى إسقطتها من قمة الشهرة وقضيت عليها، وماتت ميتة ذليلة ومهينة فى نهاية الأمر، يقال أنها قتلت بالقباقيب التى يرتديها الأفراد فى أقدامهم عند دخولهم الخلاء!

ولكن هذه الشخصية لا يمكن أن تمحى من ذاكرة التاريخ فكان لها دوراً كبيراً عندما كانت الحاكمة الفعلية لمصر حيث كانت فى فترات كثيرة ضابطة وحاكمة ومهيمنة ومسيطرة على كل الأوضاع فى مصر وأوقات أخرى غير منها، فكانت بحق نموذج جدير بالإهتمام والقراءة.

* * *

تعتبر شجرة الدر، جارية من جوارى الملك الصالح، حيث يرجع بداية

وجودها فى القصر الملكى ـ آنذاك ـ حينما إشتراها الملك نجم الدين، وإختلف المؤرخون فى تحديد جنسيتها، فمنهم من قال إنها تركيا، ومنهم من قال إنها جركسية، أو رومانية، حيث لم تكن شجرة الدر كباقى الجاريات، بل تميزت بالذكاء الحاد، والفطنة، والجمال، كما إنها نالت الإعجاب بفتنتها وفنها، إذ كانت متعلمة، تجيد القراءة والخط، والغناء.

وأثناء وجودها بالقصر الملكى، أعجب بها الملك نجم الدين وإشتراها، ولقبها بشجرة الدر، وأنفرد بها وتزوجها، وحظيت عنده بمنزلة رفيعة، بحيث أصبح لها الحق فى أن تكون المالكة الوحيدة لقلبه وعقله، وصاحبة الرأى ثم أصبحت الشريكة الشرعية، وأم ولده.

ولقد أرسل الأمير نجم الدين بأمر من والده، إلى حصن كيفا، لولاية و حكم هذا الحصن، أو هو حصن من حصون المشارق يقع على حدود تركستان.

ثم وردت إليه أنباء من القاهرة، تقول بأن أباه الملك الكامل قد عين أخاه الصغير، أبا بكر «الملك العادل» ولياً للعهد بدلاً منه، وكانت أمه أقرب إلى قلب الملك من أم الأمير نجم الدين. غضب الأمير نجم الدين من تصرف الملك، لأن أخاه كان طائشاً، ولأن الدولة كانت فى خطر من كل الجوانب. ويتربص بها الأعداء من الصليبين والمغول.

ولقد أقسم الأمير نجم الدين أن الخلافة لن تكون لغيره بعد أبيه، وبدأ بالمقاومة. لأنه أرشد من أخيه، وأحق منه فى الخلافة.

وفى هذه الأثناء كانت شجرة الدر نعم الزوجة، حيث قامت بتشجيع وتأييد زوجها، فساعدته فى الوصول إلى حقه المغتصب. وفى هذه الفترة انجبت له ولداً أسماه خليل. توجه الأمير نجم الدين إلى القاهرة، ومعه زوجته شجرة الدر، وابنهما، وبطانته المؤلفة من عشرات الجنود فقط، وبعض المماليك، وعلى رأسهم «بيبرس، وأيبك، وقلاوون، وأقد طاى».

وبينما هم فى طريقهم إنقض عليهم جيش الملك الناصر داوود، وهم ابن عم نجم الدين والى إمارك الكرك والشويك، وما يليهما من أرض الأردن. وأسرهم فى قلعة الكرك عام ٦٣ هجرية، ثم أرسل إلى الملك العادل يخبره بما حدث ويطلب منه ثمن جلوسه على عرش الشام. وإستمر سجنهم سبعة أشهر، كان الملك الناصر خلالها يساوم الملك العادل فى القاهرة على الأمير نجم الدين، أما زوجته شجرة الدر فقد وفرت له كل أسباب الراحة.

وثبت التفاؤل فى نفسه خلال مدة الأسر.

وأثناء الإستعداد لمحاربة الصليبيين، قامت شجرة الدر بوضع خطة مع زوجها، وذلك بإتفاق زوجها مع خصمه الملك الناصر، على أن يطلق سراح الدين ليستولى على عرش مصر، ومن ثم، يقدم له عرش الشام، ونصف الخراج، ثم سار الملك الصالح زوجها إلى القاهرة وهزم أخاه العادل نجم ا لدين، وأسره فى قلعة صلاح الدين. وهكذا بلغت شجرة الدر مرادها، حيث قاسمت زوجها المجد والسلطة.



شجرة الدر تخفى خبر وفاة زوجها الملك الصالح!

وقد كانت شجرة الدر قادرة على تسيير الجيوش للحرب وذلك عندما تعرضت مصر لحملة الصليبيين. ويقال أن الملك لويس التاسع شن الحملة، ليوفى بنذره. حيث نذر بأنه إذا شفى من مرضه، فسوف يشن حملة على مصر. فجهز جيشاً وأبحر من مرسيليا عام ١٢٤٩ وفى هذه الأثناء كان الملك الصالح مريضاً، إلا أنه إستعد للأمر، وإتخذ من المنصورة مركزاً للقيادة العامة. وولائه للأمير فخر الدين نزولاً عند رغبة شجرة الدر، التى أثبتت على أنها قادرة على مواجهة الصعاب، وأقسمت لزوجها على أن الصليبيين سيقتلون فى حملتهم.

وبعد وصول الغزاة إلى مصر عام ١٢٤٩، ظهرت حكمة وذكاء شجرة الدر. حيث أخفت نبأ وفاة الملك، لعدة أسباب أهمها الخوف من حدوث البلبلة فى الدولة. وبخاصة صفوف الجيش، وحتى تتغلب على العدو. وكذلك حتى لا ينصرف إهتمام أمراء بنى أيوب والمماليك إلى تولى العرش. وساعدها على ذلك الأمير بحر الدين، واستمر الحال فى القصر الملكى، كالسابق. ولكن عندما لاحظت شجرة الدر أن خبر وفاة زوجها أوشك أن ينكشف وأن العدو أيضاً على وشك الإنهزام، وقامت باستدعاء، بان زوجها، المدعو «تورا نشاه» وأمرت رجال الدولة والجيش أن يحلفوا له يمين الولاء، وأن يدعى لها على المنابر فى المساجد والجوامع، وذلك لتبقى السلطة فى يدها، وتعرف أمور الدولة كما تشاء. وذلك إن دل فيدل على ذكائها ودهائها.

وقبل وصول تورانشاه، قامت شجرة الدر بوضع خطة حربية مع الوات، وأمراء المماليك، وظلت تشرف على تنفيذها، ومراقبة سير المعركة فى المنصورة، عن قرب، وبلغ من حماسها أنها كانت تعاون الأهالى مع الجنود، فى صد هجمات الأعداء والرد عليهم.

حتى إنتصر المسلمون عام ١٢٥٠، لم يدم حكم تورات أكثر من شهرين، وذلك لفساده وطغيانه.

حيث قام بأبعاد رجال الدولة الأكفاء، وأخذ يهدد زوجة أبيه شجرة الدر، ويطلب ما تبقى من ثروة أبيه، ولم يكتفى بذلك بل قام باستفزازه مماليك البحرنة، حتى لقى مصرعه على يد بيبرس. وافق الكل فى مصر على تولى شجرة الدر العرش، بعد مصرع تورانشاه.

وكان عهد شجرة الدر زاهياً وزاهراً، أظهرت خلاله قدرتها وجدارتها فى الحكم، وتنعم الفقراء بحسناتها، إذ كانت ملكة عاقلة لبيبة، على علم تام بنفسية الشعب ومتطلباتهم، لم تكن حكومتها إستبدادية، لا تشرع فى عمل من الأعمال حتى تعقد مجلس المشاورة، ولا تصدر قراراً إلا بعد أخذ رأى وزرائها ومستشاريها.

وقامت شجرة الدر بنشر راية الإسلام، فأمن الناس خلال فترة حكمها. وفى عصرها نبغ العديد من الأدباء والشعراء المصريين مثل: بهاء الدين زهير، وجمال الدين بن مطروح، وفخر الدين بن الشيخ. وفى عهدها أيضاً قامت بعمل جيد، وهو تسيير المحمل المصرى متبعة إلى اليوم.

فهو يذهب كل عام إلى بيت الله الحرام حاملاً كسوة الكعبة والمؤمن والأموال لأهل البيت، مصحوباً بكم كبيرة من الجيش لحماية الحجاج.

❀ ❀ ❀

ألقاب شجرة الدر الغير معروفة!!

عرفت شجرة الدر بعدة ألقاب خلال حكمها مثل الملكة عصمة الدين، والملكة أم خليل، وأخيراً الملكة شجرة الدر أم خليل المستعصمية، نسبة إلى الخليفة المستعصى، وذلك خوفاً من أن لا يعترف بها الخليفة العباسى، الذى كان يجلس على عرش العباسيين فى بغداد آنذاك. ودعى لها على المنابر، كدعاء الخطباء كل جمعة فى المساجد، كما أصبحت الأحكام تصدر باسمهم ونقش أسماها على الدراهم والدنانير.

ولم يرق للعباسيين أن تتولى إمرأة عرش مصر مما أدى إلى نشوب الكثير من الخلافات بين الأمراء والزعماء فى مصر الشام، ولذلك إتخذت من الأمير عز الدين أيبك مقدماً للعساكر، ثم تزوجته، وبفعلتها هذه أمنت كلام الناس وإعتراض العباسيين لها. وقبل أن يعقد عليها إشترطت على أن يطلق زوجته ويتخلى عن ولده المنصور على، حتى لا ينتقل العرش إلى إبنه، وأطلق عليه اسم الملك المعز.

❀ ❀ ❀

وفاة شجرة الدر

بعد أن أصبح زمام الأمور داخل مصر وخارجها فى يد زوجها الملك المعز أو عز الدين أيبك، وقد بلغ إلى سمعها أن زوجها يريد خطبة إبنة الملك بدر الدين لؤلؤ، صاحب الموصل، فساءت العلاقات بين شجرة الدر وبين الرجل الذى وثقت به، وجعلته ملكاً.

وكادت تفقد عقلها من شدة الحقد والغيرة، وعلمت أنه ينوى إنزالها من قصر القلعة إلى دار الوزارة فى القاهرة وذلك ليتفادى الجدل والخصام معها، وحتى يتم تهيئة القلعة، لاستقبال العروس الضرة. غضبت شجرة الدر غضباً شديداً، لما فيه من جرح لمشاعرها وكبرياؤه. وخاصة بعد تأكدها من عزيمته فى التخلص منها.

فكان لابد من التخلص منه فدعته ذات يوم واستقبلته بصدر رحب وبشاشة، وكأن شيئاً لم يحدث بينها. حتى شعر بالطمأنينة ودخل الحمام وأنقض عليه خمسة من غلمانها الأقوياء، وضربوه إلى أن مات. ثم أذيع بأن الملك المعز توفى فجأة، ولكن لم يصدق الناس هذا الكلام!!

وحاولت شجرة الدر أن يجلس أحد الأمراء المماليك على العرش لكن تحتمى به، إلا أن محاولاتها باءت بالفشل. والتجأت إلى البرج الأحمر فى القلعة عام ١٢٥٧، ولكنها لم تنج بفعلتها، حيث تم القبض عليها من قبل الأمراء المناصرين لزوجها القتيل، وفرض عليها السجن المنفرد. ولاقت فيه ألواناً مختلفة من العذاب والهوان. ومن ثم تدخل ضرتها أم عليوهى زوجة الملك المعز الأولى، وحرضت إبنها على قتلها إنتقاماً لأبيه. وهناك مراجع أخرى تقول بأنه تم قتلها على يد الجوارى اللاتى واصلن ضربها بالقباقيب إلى أن فارقت الحياة.

ملكة سبأ

كان نبى الله سليمان ﷺ. ملكاً إلى جانب انه كان نبياً، حيث لم يكن ملكه يقتصر على خلق الله تعالى من الإنس، بل شمل عالمى الإنس والجن، كما سخرت له الريح والحيوان وعلم منطق الطير أيضاً.

وهناك الملك الواسع العريض والسلطان الشامل النافذ كان من فضل الله سبحانه وتعالى على سيدنا «سليمان» ﷺ.

حيث أدرك هذا «النبى - الملك» - بالعلم والإيمان اللذين أوتيهما أيضاً - أن الحكمة من ذلك كله هو إبتلاؤه واختباره، فقال: ﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾

(النمل: ٤٠)

ويذكر بأنه فى ذات يوم حشر لـ«سليمان» ﷺ - جنوده، كل جنوده، ثم خرج فى موكب حاشد تخف به الزينات والأعلام، وتقرع أمامه الطبول، وينتشر جنده فوق الجبال وفى السهول، حتى أتى علم «وادى النمل»، فقالت نملة محذرة بنى جنسها: «يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم واختبئوا فى قراكم» أى فى جوف الأرض، كى تدوسكم أقدام «سليمان» وجنوده.

فسمعها «سليمان» ﷺ - فتبسم ضاحكاً من قولها، لا غروراً ولا استكباراً ولا بطراً.. بل حمداً وشكراً فقال: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل: ١٩).

ثم تفقد الطير.. وسأل القائد يستعرض عسكره وجيشه، فلم يجد الهدهد، فقال: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (النمل: ٢٠)، فلماذا

يتخلف من غير أن أعرف؟ ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل: ٢١)، فإما أن يبين عذره فى التخلف والغياب أو يناله منى الجزاء الحق.

وهنا أعلن سليمان ﷺ ذلك على الملأ من جنده فى غضبه للعدل، وما هى إلا لحظات قائل حتى حط الهدهد بين يدى «سليمان» ﷺ، معلناً طاعته، مبيناً سبب غيابه، فى اعتذار وانكسار.

وكان مما قال:

سيدى... لقد طوّفت فى الآفاق ورفرفت بجناحى فوق بعيد الأمصار، وعلمت أمراً تجهله ويهمك، وجئتك من «سبأ» بنبأ يقين.

ومكان مملكة «سبأ» فى اليمن.

وبينها وبين مملكة «سليمان» فى القدس مسافات شاسعة، وأقطار وأصار، فماذا يكون النبأ اليقين الذى جاء به الهدهد من «سبأ»؟

قال: لقد وجدت فى تلك الديار أمراً عجباً!

﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾. أى امرأة تحكم البلادوالعباد وتسيطر على مقدرات الأمور.

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الغنى، والسلطان والنفوذ والجمال.

أما آية الآيات، يا سيدى، فهو عرشها الذى تجلس عليه تتبؤوه، لم أرى فى الدنيا ملكاً له مثل ذلك العرش، فخامة وروعة وأبهة.

أضاف الهدهد: العجيب فى أمر ملكة «سبأ» وشعبها أنهم قد آثاروا الضلالة عليالهدى، فأتبعوا سبيل الشيطان الذى زين لهم أعمالهم وأعماهم عن الحق فعبدوا الشمس من دون الله الملك الحق، وعفروا جباههم بالسجود لها، وهاموا فى ظلام الجهالة.

وكان الأجدر بهم وقد نعموا بكل رزق وخير آتاهم به ربهم، الذى يعلم

سرهم ونجواهم، أن يسجدوا له وحده، رب العرش العظيم.

واستمع سليمان ﷺ - إلى دفاع الهدهد عن سبب غيابه، ثم قال: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ولن نسلم بدعواك قبل تبين الحقيقة.

ثم كتب ﷺ - كتاباً، رسالة، إلى ملكة «سبأ» وكلف الهدهد حملها، وقال له: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾. وتخير الوسيلة فى إلقائه وحاذر أن يروك واختبئ وانظر ما يحدث من أمرهم.

ولقد حمل الهدهد الكتاب، وطار محلقاً فى الجو يسابق الريح والسحاب ثم حط عند نافذة مخدع الملكة. ونظر إلى الداخل فلم ير أحداً، فأغتنم الفرصة وألقى بالكتاب فوق السرير، ثم عاد إلى النافذة، يوارى نفسه خلف ستائرها.

فلما أوتى الملكة مخدعها، واستبدلت ثيابها، ثم حرفت وصيفاتها، تقدمت من سريرها لتنام، فوجئت بلفافة مطروحة فوق الغطاء، تناولتها وفحصتها وقرأت ما فيها. وما كادت تأتى على آخر كلمة حتى تغيرت معالم وجهها، فتجهمت وعبست وقطبت جبينها، وذرعت الغرفة جيئة، وذهاباً أكثر من مرة، واللفافة ما تزال فى يدها وظلت على تلك الحال وقتاً، تفكر فى مضمون الكتاب وطريقة وصوله.

وما لبث أن سرى عنها، وأفرح روعها، وزال عبوس وجهها، لقد استدركت عبارة من الكتاب هدهدت كل ثورة نفسها وبردت حجم قلبها.

«بسم الله الرحمن الرحيم»

ثم أخلدت إلى النوم، ومع الصباح الباكر صفقت بيديها، فدخلت عليها كبيرة وصيفاتها، فأعطت أوامرها بإستدعاء سريع لأعضاء مجلس الحكم والشورى، لعقد جلسة طارئة.

وتبادر الكبراء والعظماء، فلما ضمهم المجلس إلى الملكة وقد جلست على عرشها تساءلوا بلسان كبيرهم عن السبب فقالت الملكة:

ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٢٩ ـ ٣١).

ثم التفتت إليهم متفحصة وجوههم، وأضافت تقول:

ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (النمل: ٣٢).

وكانت الملكة تعلم قوة نبى الله «سليمان» وسلطانه، وتدرك من غير ريب مدى نفوذه، وجدية إنذاره وتحذيره.. لذا جمعت مستشاريها وكبار أعوانها لتبادلهم الرأى فى الموقف الطارئ، ولتتخذ الموقف المناسب من بعد.

فقال الملأ: ﴿نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (النمل: ٣٣).

قالت الملكة: يا أيها الملأ: إننى أعلم، بحكم الخبرة والتجربة، ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ (النمل: ٣٤).

ولا أريد لبلدى وشعبى أن يتعرضا على أيدى «سليمان» لهذه المحنة القاسية. فلسوف أصافيه وأداريه لأسبر غوره وأقف على حقيقة نواياه. ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ٣٥).

فوافقوها على تدبيرها، ثم جمعت هدية لائقة من المال والجواهر والنفائس، وبعثت بها إلى سليمان عليه السلام.

ترى ماذا سيكون وقع هذه الهدية على نفس «سليمان» عليه السلام! لو كان ملكاً طامعاً من ملوك الدنيا، جماعاً للمال، محباً للسلطان، فلسوف يفرح ويسر، ولكنه كان من نوع آخر، من نوع ترقى فوق ماديات البشر، وسما فوق ذهبهم وفضتهم.

إنه من نوع حملة الرسالات.

رسالة العدل والحق والخير، والإيمان.

فلما بلغ المرسلون بيت المقدس، حاملين الهدية، فرحين مزهوين ودخلوا على «سليمان» ليقدموها إليه قال لهم: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (النمل: ٣٦).

ورد الهدية وقال لكبير الرسل، متوعداً ومنذراً: ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (النمل: ٣٧).

وأراد سليمان عليه السلام أن يرغم أنوف الملأ من مملكة «سبأ»، الملكة ومستشاريها، ويقنعهم بالدليل الحسي المادي أن القوة المستمدة من الله تعالى أعظم بكثير مما هم عليه من عنفوان فارغ، وعنجهية كاذبة.

فقال لبعض أعوانه:

ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٣٨)، والعرش هو رمز السلطان والملك.

ـ ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (النمل: ٣٩).

أستطيع إحضاره بين يديك بالسرعة القصوى، سليماً من أي أذى.

لكن سليمان عليه السلام كان يريد سرعة أكثر وحضور أشد وأعظم، فأشاح بوجهه عن هذا العفريت.

فقام آخر، عنده علم أوسع، وسلطان أبلغ، فقال: ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

وفي لحظة واحدة، كان عرش ملكة «سبأ» مستقراً بين يدي «سليمان» عليه السلام، فقال في ضراعة وإيمان وخشوع ويقين:

ـ ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠).

وفى تلك الأثناء كانت الملكة قد غادرت سبأ، وحين كانت فى الطريق ودخلت على سليمان فى مجلس سلطانه وملكه، وبعد أن إستقر بها الجلوس ورحب بها على عادة الملوك، وسجلت على الملكة وملئيها مواقف الجهل والضعف والتخاذل واحداً بعد الآخر، بسبب كفرهم.

وإنهارت جاهلية الملكة وطأطأت رأسها أمام العلم اللدنى الذى وهبه الله تعالى لنبيه سليمان ﷺ، وأمام القوةالتى منحت له من البارى عز وجل.

جاء فى قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ٤٤).

وسيظل هذا المشهد من أهم مشاهد معركة الإيمان والكفر عبرة لظالمى أنفسهم ليتبينوا أن النصر فى النهاية للمؤمنين الذين أسلموا لله رب العالمين.



« الملكة أمتس »
المرأة التى دبرت مؤامرة لقتل
زوجها الملك « پپى »

الملكة أمتس

يذكر أن بعض الملوك كان قد اتخذ أكثر من زوجة فى أن واحد معاً سبباً فى إثارة كثير من المشاكل أحياناً وذلك فيما يختص بوراثة العرش، فقد كانت كل زوجة يطمح فى أن يتوج ابنها ملكاً على البلاد من بعد أبيه، وسرعان ما يبدأ صراع مرير عندما تدرك إحدى الزوجات أن الملك قد اختار ابن زوجة اخرى ولياً للعهد فتبدأ على الفور فى تبير مؤامرة تطيح فيها بالملك الجالس على العرش يعاونها فى ذلك أنصارها من حريم القصر وموظفيه..

وكانت أول مؤامرة من هذا النوع ترجع الأسرة السادسة، فقد إتهم الملك ببى الأول زوجته الملك «أمتس» فى أمر أنته، ربما شاركها فيه وزير عصرها، وهو أمر لم تذكر النصوص شيئاً عن حقيقته، فقد يكون تآمراً من هذه الملكة على إحدى زوجات الملك الأخريات كانت تتمتع بحب الملك وتقديره أو تآمرا منها على الملك نفسه.

وعندما أراد الملك التحقيق فى هذه القضية عهد إلى «أونى» أحد شخصيات عصره بأن يقوم بها منفرداً، وقد قام بدوره، بالتحقيق مع هذه الملكة ورفع النتيجة إلى الملك ولكن التاريخ لم يسجل شيئاً عن هذه النتيجة ولا عن قرار الملك ببى فيها، وعندما سرد أونى تاريخ حياته وأعماله المختلفة فى خدمة ملوك هذه الأسرة أشار إلى هذه الحادثة قائلاً: «عندما كانت هناك مقاضاة سرية فى الحريم الملكى ضد الملكة العظيمى. «أمتس» سمع لى جلالته بالذهاب «النزول» إليها لأستمع «للقضية» وحدى فقط دون

حضور أى وزير أو موظف، أنا بمفردى وذلك لكفاءتى، ولأننى كنت موضع ثقة جلالته، إننى أنا الذى قمت بتدوين «القضية» وحدى مع قاض واحد مع أن وظيفتى كانت «المشرف على الضياع» ولم يحدث من قبل أن أطلع شخص مثلى على سر الحريم الملكى، ولكن جلالته جعلنى أطلع عليها لأننى كنت عظيماً عند جلالته «على قلب جلالته» أكثر من أى موظف أو نبيل أو خادم.

ويذكر أن الملكة «أمتسى» كان تعشق أحد وزراء عصرها فأشترك معها فى المؤامرة على قتل زوجها الملك ببى.

ويرى البعض أن الأسباب الحقيقية لهذه المؤامرة فإنها لازالت غامضة طالما لم تظهر بعد النصوص التى تكشف الحقيقة.

وبعد محاكمة الملكة «أمتسى» أراد «ببى» أن يوطد مركزه فى البلاد فصاهر إحدى الأسر القوية فى مصر العليا، إذ إتخذ إبنه أمير أبيدوس زوجه له ثم تزوج أختها من بعدها.



«الملكة تى»
المرأة التى تآمرت على قتل
زوجها رمسيس الثالث

تعتبر المؤامرة التى قامت بها الملكة «تى» أو «تتى» من أشهر مؤامرة فى التاريخ المصرى القديم، هى تلك التى دبرت لقتل الملك رمسيس الثالث أحد ملوك الأسرة العشرين، وقد عرفت تفاصيل هذه المؤامرة من ثلاث برديات قد عثر عليها الأثريون، هى» البردية القضائية» أو «بردية تورين» وبرديتى «لى» و«رولن».

وتلخص المؤامرة فى أن الملكة «تى» أو «تتى» إحدى وزوجات رمسيس الثاث عندما أيقنت أن الملك لن يجعل من ابنها «بنت أور» ولياً للعهد حمت على قتله وإعلان ابنها ملكاً ـ وقد إشترك معها فى تدبير المؤامرة أثنان من كبار موظفى القصر هما «مسد سورع» و«باباك آمون»، وقد كانت مهمة الأخير فى داخل القصر وخارجه وتوصيل رسائل الحريم إلى أمهاتهن وأخوالهن، وقد كانت على النحو التلاى.. «أثيروا القوم، حرضوا الأعداء، ليبدأوا الأعمال العدائية ضد سيدهم» وإشترك فى المؤامرة أيضاً، بعض الضباط وحراس القصر وأحد الكهنة وست من نساء الحريم كن واسطة بين الملكة وشركائها فى الخارج.

وقبل أن يسدد المتآمرون ضربتهم عملوا على إثارة الفرق المعسكرة فى بلاد النوبة لتشق عصا الطاعة ضد الملك ولتقوم بهجوم مفاجىء على

مصر، وتمكن المتآمرون كسب رئيس هذه الفرقة إلى حتفهم لأن أخته ـ إحدى نساء الحريم ـ كانت قد أوقفته على دقائق هذه المؤامرة.

ولم تكتفى «تى» وأعوانها بجمع الأنصار بل لجأوا إلى السحر يستعينون به على جلب الضر والبلاء على الملك وأعوانه.

ولقد كانت تفاصيل هذه المؤامرة مثار مناقشة كثير من الباحثين، ولا يوجد إلى الآن ما يؤكد ما إذا كانت هذه المؤامرة قد نجحت فى القضاء على الملك أم أنه نجا منها ليشهد محاكمة المتهمين. ولقد نعت الملك فى وثائق هذه المؤامرة بأنه «الملك العظيم» وهو نعت يطلق على الملك الميت، دفع ذلك البعض إلى القول بأن الملك قد قضى نحبه وأن محاكمة المتآمرين كانت فى عهد ابنه رمسيس الرابع.

ومهما يكن من أمر فإن الباحث لا تعنيه تفاصيل المؤامرة التى بحثها كثير من العلماء منهم على سبيل المثال لا الحصر «جاردنر» «دى بك» «أرمان» «ولسون» «دريتون» «سليم حسن» و«بدوى» بقدر ما يعينه دور الملكة «تى» فى هذه المؤامرة التى كشف أمرها فقدمت للمحاكمة هى وابنها وغيرها من المتآمرين أمام محكمة شكلت خصيصاً لهذه القضية وترك الملك لقضاتها مطلق السلطة فى الحكم على المتهمين، وقد قضت المحكمة بإعدام «بنتأور» وثلاثة آخرى، وقد تركوهم ليقتلوا أنفسهم بأيديهم.

أما عن مصر الملكة «تى» فإنه لازال مجهولاً وذلك لأن الوثائق لم تسجل الجزاء الذى نالته.

والجدير بالذكر أن أسماء المتآمرين لم تكن الأسماء الحقيقية لهم، وإنما أسماء مستعارة تخفوا وراءها، وليس من شك فى أن ذلك لا يساعد على كشف كثير من حقائق هذه المؤامرة.

كليوبترا الأولى.. إبنة أنطيوخوس الثالث

تعتبر كليوبترا الأولى إبنة أنطيوخوس الثالث، الذى إنتهز ضعف مصر وإضطراباتها الداخلية وإرتقاد عرشها صبى صغير «بطليموس الخامس» واقتسم ممتلكات مصر مع فيليب الخامس، ولما فقدت مصر كل أمل فى تدخل روما بينها وبين أنطيوخوس، رأى أريستومنس، الوصى على الملك، أنه لم يعد أمامه إلا التفاهم مع أنطيوخوس نفسه، فأخذ يسعى منذ عام ١٩٨ق.م إلى عقد الصلح بين مصر وسوريا على أساس زواج بطليموس الخامس من كليوبترا إبنة أنطيوخوس وفيليب عن ممتلكاتها التى فقدتها أملاً فى أن يؤدى ذلك إلى تأمين نفسها، وإسترداد جوف سوريا. الذى كان يعتبر أهم ممتلكاتها الخارجية

وبعد لأى عقدت معاهدة الصلح عام ١٩٥ق.م

وفى شتاء عام ١٩٤ - ١٩٣ ق. م تزوج بطليموس وكليوبترا. ويبدو أن المعاهدة قضت على أن هدية كليوبترا لزوجها بمناسبة الزواج كانت دخل جوف سوريا. وأن المفاوضتين السلوقيين أدخلوا فى روع المفاوضين البطلميين، أن الحصول على الدخل كان يستتبع الحصول على الملكية.

وليس ثمة ما يدعو إلى النص على ذلك، وإنه إزاء لهفة مصر على عقد الصلح لم يصر مفاوضوها على النص صراحة على نقل ملكية ذلك الإقليم.

وعندما طالبت مصر فيما بعد بملكية ذلك الإقليم، فض أنطيوخوس الرابع وجود معاهدة تمنحها ذلك الحق.

وبعد وفاة بطلميوس الخامس عام ١٨٠ تولت كليوبترا الوصاية على ابنها الصغير بطلميوس السادس حتى وفاتها عام ١٧٦ وتمكنت بحكمتها من المحافظة خلال وصايتها على صفاء العلاقات بين مصر وسوريا.

كيلوبترا الثانية

هى ابنة بطلميوس الخامس وكيلوبترا الأولى، تزوجت أخاها بطليموس السادس، ووفقت بينه وبين أخيها الصغير بطلميوس الثامن، وإعتبرت شريكة للأخوين منذ عام ١٧٠ حتى عام ١٦٣ عندما إنفرد بطلميوس السادس بحكم مصر وقبرص وتولى بطليموس الصغير حكم قورينة. وبعد وفاة بطلميوس السادس عام ١٤٦ تولت الوصاية على إبنهما الصغير بطليموس السابع، فترة قصيرة ثم تزوجت أخاها ملك قورينه وحكما معا بعد مقتل ابنها إلى أن فر بطليموس الثامن إلى قبرص، نتيجة لسوء حكمه والخلافات العنيفة التى نشبت بينهما.

ولقد أنفردت بالحكم بضعة أشهر وقاومت زوجها طويلاً بعد عودته من قبرص وعندما تحرج مركزها أغرت ديمتريوس ملك سوريا وزوج إبنتها كيلوبتراثيا بغزو مصر عام ١٢٩ وإزاء فشل ديمتريوس تحطمت آمال كيلوبترا فولت هاربة إلى سوريا حاملة معها كنوز الدولة. وعندئذ صالحها بطلميوس الثامن عام ١٢٤ق.م وشاركته الحكم فى وئام حتى وفاته فى يونيو عام ١١٦.

ومن المؤكد أنها لم تكن على قيد الحياة بعد عام ١١٦ ق.م حيث إشتهرت بصلابتها وشدة تعطشها للملك ولا شك فى أنها عاشرت بطليموس الثامن معاشرة الأزواج برغم أنه قتل ابنها بطليموس السابع، وعندما تزوج بطليموس الثامن إبنتها كليوبترا الثالثة عام ١٤٢ لم تر غضاضة فى مشاركتهما الملك.



تيريز
المرأة التى قتلت أمها بمساعدة عشيقها !!

بدأت أحداث هذه القصة المثيرة التى قامت فيها فتاة تدعى «تيريز» بقتل وذبح أمها بمساعدة عشيقها وصديقها المدعو «بيللى» دون رحمة منها. عندما إشتم المشرف على نظافة العمارات وهو يقوم بجولته الصباحية رائحة كريهة تفوح بعنف من شقة «مسز جويش» التى تتألف من غرفة واحدة داخلها خزانة وخارجها مطبخ وحمام. وطاف المشرف على الشقق يدق الأجراس ليستطلع الخبر ولكن شقة «مسز جويش» الأم «القتيلة» وإبنتها الحوحيدة لم يجبه أحد منها.

وبسؤال السكان أجمعوا على أنهم لم يروا سكان الشقة المذكورة منذ أسبوعين على الأقل وأنهم لا يعرفون السبب. ورراء هذا الكلام لم يبق للمشرف مفر من إبلاغ الشرطة. فجاء ثلاثة منهم وفتحوا الباب بصحبة ومعونة المشرف فهاجتهم من داخلها رائحة عفن شديدة. غير أنهم لم يعثروا فى البداية على ما يبرر الرائحة حتى دخلوا الحمام وأدهشهم أن يجدوا البانيو مليئاً بالعلب الفارغة والكاسارولات وأدوات الطهو المختلفة. وبإزالة هذه الأشياء فوجئوا بجثة متعفنة بلغت من التحلل درجة أخفت معالمها ولولا الثياب التى ترتديها ما أمكن التحقق من أنها «مسز جويش» وبالتشريح ثبت أن الجريمة وقعت قبل ثلاثة أسابيع من إكتشافها. وأن «مسز جويش» القتيلة مصابة فى جمجمتها بثلاث ضربات جبارة من آلة صلبة مثل الشاكوش، كما أنها طعنت فى جسدها بعدة سكاكين كبيرة حادة ثامنية وعشرين طعنة، ست منها أصابت القلب مباشرة وحولته إلى ما يشبه كتلة من اللحم المفروم على حد تعبير الطبيب الشرعى.

وبالتحقيق فى هذه الواقعة من قبل السلطات المختصة ثبت أن الفتاة «يتيريز» ابنة الأم القتيلة ، كانت تصاحب فى الفترة الأخيرة من مقتل أمها، فتى عمره «سبعة عشر عاماً» اسمه «بيللى» وأكد أصحابها أنها كانت تعيش مع صديقها طوال المدة الماضية فى شقتها، حيث يمارسون الجنس، وإنهما إدعيا لصاحبها إنهما تزوجا وأرياه الخاتم الذى إدعت أنه قدمه لها بسبب الزواج، وبالضغط عليها إعترفت أن صديقها «بيللى» هو الذى قتل أمها، ولكن الفتى إتهمها بالكذب وإعترفت أن القتل كان فى حضورها وبمعونتها!

وكانت هى التى تناوله الشاكوش والسكاكين لكى يقتل ويذبح أمها!!! والأكثر من ذلك أنها تعاونت مع صديقها فى حمل الجثة ووضعها فى «البانيو» وإتماماً للتمثيلية كانا يقيمان الولائم لأصدقائهما وينفقان على هذه الولائم من النقود التى سرقاها من أمها بعد قتلها!

وتم القبض على «بيللى» استناداً على هذا الاعتراف، وتم الحكم عليهما بالإعدام شنقاً، وانتهت هذه القصة لأسوأ سيدة أو فتاة قتلت أمها بسبب الجنس والمال!



ماری لوفافر
الأم التی قتلت زوجة إبنها
الحامل فی الشهر الرابع

تعتبر قصة حياة مدام «ماری لوفافر» التی أطلق عليها بأنها أبشع قاتلة فی عصرنا الحديث، من أروع القصص التی تجذب إليها. الاسماع والعيون والقلوب لكی تقرأها وتستمع إليها. فقد إستطاعت هذه المرأة أن تروع الرأی العام الفرنسی بجريمة من أبشع ما يكون. إذ قتلت بالرصاص زوجة ابنها العروس الحامل فی الشهر الرابع. وإختارت أن تنفذ حكم الإعدام على الشابة الصغيرة البريئة فی وجود ابنها. وعلى مشهد منه رغم علمها بأنه يحب زوجته الصغيرة الجميلة، ويكاد يطير سعادة بالجنين الذی تحمله فی بطنها، وأبشع ما فی هذه الجريمة أن الأم القاتلة لم تبد أدنی أسف أو ألم لما إرتكبته، وظلت قبل المحاكمة وأثناءها رابضة الجأش باسمة الثغر تردد المرة بعد الأخرى، «لقد قمت بواجبی وفعلت ما فعلت ما لم يكن من فعله بد»!!

ويذكر أن هذه السيدة كانت تنتمی إلى الطبقة الراقية. الثرية. كانت مثقفة وذكية وذات أصل وجاه، وأم يضرب بها الأمثال فی العطف والحنان، وزوجة مشهورة بوفائها وتفانيها فی حب زوجها ورعاية مصالحه.

وعندما صدر الحكم عليها بالإعدام تقبلته باسمة راضية، كأنهم قرروا أن يبعثوا بها إلى نزهة مسلية!! أما هی: فقد كانت فی طفولتها الابنة الأولى لوالديها، وظلت خلال المرحلة الأولى من عمرها تتربع على عرش

قصر هام ومن فيه.. ترفل فى التدليل والتر ب والرعاية.. كل طلب لها ولو خرج عن المعقول مجاب، وكل أمر ولو أحمق مطاع.

ثم حملت أمها للمرة الثانية وانجبت صبياً جاء مولده بمثابة القنبلة باعتباره ولى العهد المنتظر لأنه الرجل الذى يفضل الأنثى والذى سوف يحمل اسم أسرته ويحملها لأولاده وأحفاده من بعده.. وإنقلب تيار والدعاية والتفانى من «هارى» إلى «شارل» الصغير إذ إنشغل الولالدان عن كل شىء سواه، حتى عن «مارى» الذى شعرت بتجنب كل من الولادين لها، وزيادة إهتمامهم بالولد. حتى خابت حيل «مارى» لإسترداد عرشها القديم أو إثارة إهتمام أهلها بوجودها فإستسلمت للهزيمة وتضاعف إنطواؤها على نفسها، وتغيرت أخلاقها فأصبحت شرسة المزاج عنيدة مكابرة لا تخضع للأوامر ولا تحترم رغبات الكبار مما أقنع أهلها بضرورة إرسالها إلى مدرسة داخلية على سبيل مضاعفة الجهد فى تقويمها، ثم كبرت «مارى» وكبرت معها متاعبها النفسية الدفينة، وساءت حالتها بشدة وظهرت عليها أعراض التدين المفرط والرغبة الشديدة فى إدارة الأعمال المخصصة للرجال، وقد تفوقت فى هذا المجال وأثبتت جدارتها، وتزوجت بأحد كبار رجال الأعمال الفرنسيين، وتولت عنه مهمة تصريف كثير من الصفقات الهامة، وكان لها الفضل الأكبر فى إتساع تجارته، وإنجبت ولدين، أحدهما «مشلول» لا رجاء من شفاءه، والآخر سليم معاف.

وحينما كبرا الولدان، قرر السليم أن يتزوج فتقدم لخطبة إحدى الفتيات، وتم الزواج بسرعة وكانت الأم على خلاف دائم مع خطيبة إبنها قبل الزواج وبعده، وأثناء حمل الزوجة بعد مضى شهور من زواجها بإبنها، وكانت الأم تتحين الفرصة لكى تتخلص من زوجة إبنها بأن تقتلها، فاشترت مسدساً، ودعتهم للخروج فى نزهة خلوية فى السيارة تكون بمثابة البداية الطيبة لعهد الوئام الجديد بينهم، وأثناء سيرهم فى إحدى الطرق المؤدية إلى الحديقة الكبيرة، أخرجت الأم سدساً من حقيبتها، ووضعته فى رأس

الزوجة، وأطلقت عدة أعيرة نارية فى رأسها حتى أردتها قتيلة، على مشهد ومرأى من إبنها الزوج السعيد، وظلت فى مكانها جالسة هادئة الجأش لا تغيب الابتسامة من عند شفتيها، وعندما صدر الحكم بالسجن المؤبد عليها بدلاً من الإعدام تماشياً مع التقليد الفرنسى الذى أوقف الإعدام فيما يختص بالنساء لم تظهر فرحها وإغتباطها بذلك. إنما التغير الذى أذهل المسئولين بعدئذٍ هو الحالة الصحية الرائعة التى أصبحت فيها «مارى لوفافر» مع أنها كانت تعيش فى زنزانة رهيبة تنام على الأرض الخشبية وتأكل طعام السجن البغيض، فقد تلاشت جميع أمراضها تلاشياً كاملاً.. ذهب الأرق والصداع ولم يبق أثر للإمساك والإسهال الذى كانت تعانى منهما، وامتلأ جسدها بعد نحافة شديدة. وبدأ واضحاً أنها تستمع بحياة السجن أكثر من حياة القصور!!



ريا وسكينة

«السيدتان اللتان هزمن الرجال!!

تعتبر قضية «ريا وسكينة» الشهيرة من القضايا الهامة فى التاريخ العربى والعالمى، فهى قصة واقعية لسيدتان قاتلتان وسارقتان بصورة مختلف وغير معتادة. فلا يمكن أن تمحى هذه القضية من ذاكرة التاريخ لدرجة أن الكتاب وكذلك على المسرح، وكانت مسرحية «ريا وسكينة» التى قامت ببطولتها الممثلتان شادية وسهير البابلى، حيث جسدت كل منهما الدور ببراعة تامة للغاية لدرجة أن العمل المسرحى هذا لاقى قبولاً جماهيرياً كبيراً وإستمر لأعوام كثيرة على خشبة المسرح. وكذلك فيلم «ريا وسكينة» للفنان يونس الشلبى وشريهان، ولقد قدمت كل من الفنانة عبلة كامل وسمية الخشاب شخصيتى ريا وسكينة فى مسلسل تليفزيونى. وهكذا فقد خلدت كل من السينما والمسرح والتليفزيون هذه القضية لتبقى فى ذاكرة التاريخ عن أبشع الجرائم الأسرية التى شهدتها مصر فى بداية العشرينيات من القرن العشرين، حيث كانت هذه القضية جديدة على المجتمع المصرى تماماً، وكانت «ريا وسكينة» شقيقتين، وقد أصبحتا أشهر قاتلتين فى العالم العربى من المحيط إلى الخليج، حيث قامتا بالإشتراك مع عصابة مكونة من أربعة رجال بخطف سبع عشرة إمرأة فى مدينة الإسكندرية وقامتا مع بقية أفراد العصابة بقتل النسوة ودفن جثتهن فى ثلاثة منازل بأحياء الأسكندرية القديمة.

والغريب فى هذا الأمر أن وقائع هذه الحوادث كانت قد تمت فى الفترة

ما بين نوفمبر ١٩١٩ و١٢ نوفمبر ١٩٢٠ أى فى العالم الذى قامت فيه ثورة الشعب المصرى بقيادة سعد زغلول ضد الاحتلال الأجنبى فى مصر.

وكانت أوراق القصة أو القضية الرسمية فى المحاكم تزيد على ألفى صفحة، وقد حفلت بالعديد من القصص والحكايات المثيرة، سواء كانت فى حياة الضحايا أو العلاقات بين ريا وسكينة وأفراد عصابتهما من الرجال، فقد فقدت الشيقتان «الأب» و«الأم» وظلتا بمفردهما يواجهان ظروف الحياة الصعبة للغاية، ثم التقتا بكل من «حسب الله» ، و«عبد الله» حيث تزوج الثانى بسكينة والأول بريا، وذلك حتى يضمنا الحماية والتغطية عل بجرائمهما بمساعدة رجلين والبعض من المساعدين الرجال.

وفيما بين العثور على جثة أول ضحية فى مذبحة النساء التى إرتكبتها كل من ريا وسكينة، وإكتشاف بقية الجثث، والقبض على ريا وسكينة وشركائهما، وحتى الوقوف جميعهم تحت عود المشنقة، بعد الحكم عليهم بالإعدام، كان ما يزال لديهم أمل فى الهروب من الموت بحبل المشنقة. وطعن المتهمون السبعة فى الحكم أمام محكمة النقض والإبرام.

وقد تضمن الطعن أن الدفاع عن عبد الرزاق يوسف طلب سماع شهادة بديعة بنت ريا، لكن محكمة الجنايات لم تجب على هذا الطلب لا بالرفض ولا بالقبول!

وكان الطلب قد جاء ذكره على صفحات الجرائد التى نقلت المحكمة ومنها جريدة وادى النيل التى قدم الدفاع نسخة منها، ولم يتمكن الدفاع من طلب بديعة بنت ريا بصفتها شاهدة نفى، لأن النيابة أخذت البنت ووضعتها فى أحد الملاجىء الموجودة آنذاك!

وكما نشر فى الصحف، فقد جاءت جلسة محكمة النقض والإبرام التى عقدت يوم الأحد الموافق ٣٠ أكتوبر عام ١٩٢١ برئاسة صاحب السعادة عبد الرحمن رضا باشا، وبحضور أصحاب السعادة والعزة مستر سودان

وأبو بكر يحيى باشا ومستر هل وأحمد ذكى أبو السعود بك المستشارين وأحمد محمد خشبة بك وكيل نيابة الإستئناف وطلعت أفندى المعداوى كاتب الجلسة.

وجاء حكم المحكمة بعدم قبول النقض بالنسبة لباقى المتهمين وبرفضه بالنسبة لعبد الرازق يوسف والصايغ، حيث كانت تحقيقات النيابة قد بدأت فى يناير من عام ١٩٢١ وعرض المتهمون على قاضى الإحالة فى ٧ فبراير من نفس العام، ومضى شهران بعد رفض محكمة النقض والإبرام للطعن الذى قدمه المتهمون.

وفى الخامس عشر من ديسمبر أعلنت محافظة الإسكندرية أن تنفيذ حكم الإعدام سيكون يومى الأربعاء ٢١ والخميس ٢٢ ديسمبر فى تمام الساعة الثامنة والنصف صباحاً.

وقام طبيب البوليس بإعداد تقاريره عن جميع المتهمين المنفذ فيهم حكم الإعدام شنقاً، وفى هذه التقارير سجل حسن نديم طبيب البوليس أن السيدة سكينة كان وزنها عند دخول السجن ٤٧ كيلو جراماً وزاد وزنها داخل السجن ستة كيلو كرامات، وأصبح وزنها قبل إعدامها ٥٣ كيلو جراماً على وجه التقريب.

وقال طبيب البوليس - كما جاء فى الصحف - بأن سكينة كانت قبل إعدامها «جريئة» ورابطة الجأش وكانت تقول وتردد أنا جدعة وحا أتشنق محل الجدعان وقتلت ١٧ وغفلت الحكومة!.

ثم نطقت بالشهادتين ثم تم تنفيذ حكم الإعدام عليها وماتت على الفور. كذلك الأمر حدث لشقيقتها «ريا» التى زاد وزنها فى السجن إلى ٥٠ كيلو جراماً بعدما كان ٤٢ كيلو جراماً فقط ولكنها كانت أقل شجاعة من شقيقتها! وقالت قبل إعدامها «ودعتك يا بديعة بنتى» وعندما أعدم حسب الله زوج «ريا» لم يكن وقتها يخشى الموت وكان جريئاً وصلباً وقال وقتها

«أنا صحيح قتلت ١٥ موش ١٧»!!

كذلك الأمر بالنسبة لعبد العال فقد كان بحالته الطبيعية وكان جريئاً جداً ورابط الجأش! وقال لعشماوى عندما هم لإعدامه: «كتف يا عشماوى، شد حيلك خليك قوى يا راجل»!!

وتصف جريدة الأهرام الحادث وقتها وتقول: وقف الجميع فى دار الجسن أمام غرفة الإعدام، وفى الساعة السابعة والنصف جاء حراس السجن د«ريا» زعيمة العصابة، وكانت لابسة ثوباً أحمر وهو ثوب المحكوم عليهم بالإعدام - وعلى رأسها طاقية بيضاء وكانت تسير بقدم ثابتة. إلا أنها كانت ممتقعة اللون خائرة القوى. وأوقفت «ريا» أمام الحضور. فتقدم عبد الفتاح صاغ مأمور السجن ليقرأ حكم الإعدام ثم سألها المحافظ: محتاجة شيء؟!

فقالت لها «ريا»: لا. ثم توجهت كلامها إلى بنتها وقالت لها: لك الله يا بديعة.

وعندما جاء الدور على إعدام سكينة وكان المأمور يتلو عليها حكم الإعدام، ذاكراً أنها إشتركت فى قتل ١٧ إمرأة، ولما أدخلت إلى الغرفة السوداء، فى أثناء توثيق يديها قالت سكينة: هو أنا رايحة أهرب أو أمنع الشنق بيدى «حاسب أنا ولية! لكن جدعة! الموت حق!!».

وأسهبت جريدة الأهرام فى وصف مشهد المحاكمة لهذه الحادثة، ووصف مشاعر الجحود حولها وقالت: بينما كان المحكوم عليهم يشنقون داخل السجن، كانت جماعة من نسوة الجنينة فى قسم اللبان تهتفن ويزغردن خارج السجن: ويقلن: «وليحيا الذى شنق ريا» «ليحيا الذى شنق سكينة»!

وكانوا يغنون ويقولون: «خلوة يا أم بابين.. وروحت السكارى فين»!

وكانت أشهر البلاغات التى قدمت منذ منتصف شهر يناير من عام

١٩٢٠ بالإسكندرية وبالتحديد فى قسم اللبان عن إختفاء النساء، وأول هذه البلاغات قدمته عن «عرضحال» المدعوة زينب حسن وقالت فيه: صاحب السعادة حكمدار بوليس الإسكندرية، إبنتى نظلة بنت أبو الليل البالغ من العمر ٢٥ سنة وزوجها متوفى.

كانت ساكنية بجهة باب سدرة الجوانى، وتركت منزلها من مدة عشر أيام ولم تعد، وعلمت من الجيران أن ـ حرمة ـ إمرأة حضرت لها وأخذتها، وتركت الغسيل فى الطوخ، وتركت العفش ـ الأثاث ـ بدون ما ينقص شيئاً، وحيث إن إبنتى قمحية اللون نحيفة الجسم متوسطة الطول، وفى يدها غوايش ذهب وحلق ذهب وخلخال فضة وخاتم ذهب، وحيث إنه خوفاً على حياة إبنتى أو أن تكون قبلت بيد فاعل، وسرق الذهب الموجود معها، أرغب فى التحرى عنها.

وبعد «نظلة» إختفت زؤبة ثم إختفت زؤبة أخرى، ثم إختفت فاطمة العوراء، ونبوية بنت على، والأخيرة جاءت من خلال محافظ الإسكندرية الذى بدأ يتلقى بلاغات عن غياب النساء، وفى هذا البلاغ الذى تلقاه المحافظ يقول صاحبه: «مقدمه لسعادتكم حسن الشناوى الجناينى بجوتر قطة بوليس العزوزة بالقبارى. أحيط شرف سعادتكم أنه كانت توجد حرمة تسمى نبوية بنت على، كانت تعمل سابقاً قهوجية بدمنهور، ثم حضرت إلى الأسكندرية، ومكثت تعمل قهوجية وسط بعض «بنات الليل» وقد حصل لها القسمة بزواجهما بعد ما تابت، وسكنت معها بجوار سيدى عماد بقسم اللبان، وكنت أتوجه يومياً إلى شاغلى فى الصباح، وفى يوم ١٤ أغسطس ١٩٢٠ عدت إلى سكنى كالمعتاد فلم أجدها، وظننت أنها توجهت إلى إحدى معارفها من الحريم، فذهبت إلى صديقى صالح السريقوسى، ونمت عنده تلك الليلة، وفى الصباح توجهت للبحث عن زوجتى فى السكن فلم أجدها وأخيراً حضرت حرمة وسألتنى عنها، وقالت إنها أختها وحضرت لزيارتها وعرفتها أن لها عشرين يوماً متغيبة، أرجو من سعادتكم صدور أمركم

بالبحث عنها، حيث إننى لا أعلم إذا كانت الآن على قيد الحياة، أو فقدت من الوجود وكانت هذه بعض حكايات ضحايا ريا وسكينة. والتى تعد من أخطر الجرائم الأسرية التى شهدتها مصر خلال القرن الماضى والحالى والقرون القادمة! وهى أيضاً أخطر الجرائم التى وقعت فى العالم العربى أو حتى العالم الغربى كله. حيث إشتهرتا هاتان الشقيقتان اعتاداً على السرقة والنصب والقتل والتمثيل بالجثث.

ودفنها أحياء فى بعض الأحياء لإخفاء جريمتهما البشعة، وخلال فترة ليست طويلة قتلا الأختين أكثر من مائة سيدة وفتاة ورجل! ولذلك كانتا هاتين الشقيقتان من أسوأ النساء على مستوى العالم كله من وجهة نظر الكاتب.



جميلة الجميلات: فتحية!

وفى هذه الواقعة الغريبة التى كانت بطلتها سيدة عادية، ليست مشهورة، وإنما هى إمرأة مغمورة تدعى (فتحى. م) ربة منزل ـ ٢٨ عاماً ـ قامت بقتل زوجها بالتعاون مع عشيقها سائق التاكسى دون شفقة منها له. الزوج الذى يكبرها بعشر سنوات، تبدأ القصة عندما كان شباب المنطقة يتصارعون من أجل الفوز بالزواج من فتحية التى كانت تتمتع بجمال وجاذبية ليس لها حدود، فهى بيضاء اللون وذات قوام ممشوق وعينين جميلتين تخض من ورائهما خبايا شيطانية ورقة مزعومة وأنوثة طاغية إلى أن إنتهى هذا الصراع على فتحية الجميلة والمثيرة، وحسم لصالح أحد الأشخاص الذى يكبرها بعشر سنوات ويعمل فى المعمار وله صلة قرابة تربطه بهم من نفس البلد التى عاش فيها والدها بالصعيد من قبل. عاشت فتحية مع زوجها وكانت سعادتها غامرة بالرغم من دخل زوجها البسيط إلا أنها كانت تدعى فى وجودها مع زوجها سعادة ليست لها حدود، وبعد فترة زواج دامت عاماً ونصف عام كانت الزوجة قد تعرفت على سائق تاكسى يسكن فى نفس المنطقة وقام بتوصيلها من قبل ورفض وتعددت اللقاءات بينهما من خلال التاكسى وكان فى كل مرة يشترى لها الأمكنة العامة. ويشترى لها ثياباً وملابس جديدة وتدعى أمام زوجها بأنها هدية من والدتها أو إحدى شقيقاتها، نشأت بينهما علاقة عاطفية بمشاعرها وإتفقا على لقاءات متعددة بشكل مستمر، وكان ليمارس معها الحب فى التاكسى فى أماكن مختلفة، وبعد أن إنتشرت قصتها فى المنطقة شك الزوج فى سلوكها وبدأ يضربها ويعاقبها بإستمرار ورفض خروجها من المنزل،

واكتشف بعد ذلك أنها لا تريد الإنجاب منه من خلال تناولها باستمرار لحبوب منع الحمل بعد أن كانت تعايره بعد الإنجاب، وبعد مرور ثلاثة أشهر على حبها فى المنزل اتفقت مع العشيق سائق التاكسى على التخلص من الزوج هى أنها طلبت من عشيقها أن يصدمه بسيارته التاكسى أثناء سيره فى الطريق، لكن عشيقها رفض ذلك واتفقا على قتل الزوج بعد إصطحابه إلى مكان ناء وقتله، وبالفعل دبرت الزوجة لقاء للزوج فى مكان مهجور وكان السائق الولهان فى الإنتظار وفى يده سكين وكان ينتظرها بفارغ الصبر، وما أن شاهد كلا من الزوج والزوجة معاً حتى هجم على الزوج وطعنه عدة طعنات نافذة ثم ضربه فوق رأسه بحجر ضخم فأرداه قتيلاً فى الحال، ثم حمله مع الزوجة الخائنة داخل التاكسى وقاما بإلقاء الجثة فى منطقة مهجورة على طريق مصر الإسكندرية الصحراوى، وعادت الزوجة إلى المنزل، وكأن شيئاً لم يكن، وظلت على هذا الحال ثلاثة أيام حتى فوجئت بشقيق زوجها يطرق الباب للسؤال عن شقيقه. فأخبرته الزوجة اللعوب بأن زوجها قد إختفى منذ ثلاثة أيام ولم تعرف عنه شيئاً وأنها تظن أنه سافر إلى البلد فى الصعيد لقضاء أمر مهم. ولكن الأخ إرتاب فى كلام زوجة أخيه التى بدت عليها علامات الخوف، فتقدم شقيق زوجها بلاغاً إلى قسم الشرطة يتهم فيه زوجة أخيه بأنها وراء إختفاء زوجها، وبعد جمع التحريات ومواجهة الزوجة والتشديد عليها ومقابلة بعض أفراد الجيران، إعترفت الزوجة بقتل زوجها، وأخبرت عن مكان الجثة ومكان العشيق سائق التاكسى، وتم القبض عليها واصل المتهمان للنيابة وصدر الحكم بعد ذلك عليهما بالإعدام شنقاً.



زينب محمود!
المرأة التى تمردت على
أسرتها بسبب شيطان!

يقال أن المرأة عندما تتمرد تتحول إلى أنثى النمر أو أنثى الأسد التى قد تفوق شراستها زوجها ووالد أبنائها، فالمرأة التى تقطع جثة زوجها شرائح شرائح وقطع قطع، ثم تلقيها فى أماكن متفرقة لكى تتخلص منه إلى الأبد ثم تقوم بعد ذلك بحرقه، لكى تتخلص منه إلى الأبد، حتى تحقق مآربها الشيطانية، وتقع فى الإثم الكبير، وهو الزنا وخيانة الأمانة، وتضرب القيم والتقاليد والأخلاق والأدب والحياء فى مقتل فتكون نهايتها معروفة وهى الندامة والحسرة والجحيم وبئس المصير فى الدنيا والآخرة.

وقائع هذه الجريمة البشعة شهدتها أراضى منطقة المرج حيث قامت الزوجة وتدعى زينب محمود البالغة من العمر ٣٨ عاماً بقتل زوجها مع سبق الإصرار والترصد وذلك بالإشتراك مع عشيقها.

حيث تبدأ وقائع هذه القصة «البشعة» عندما تعرفت زينب على أحد الأشخاص بطريق الصدفة أثناء عودتها من منزل إحدى قريبتها، وأظهر لها هذا الشخص شهامة أولاد البلد فى إحدى المواقف، فأعجبت به عندما أسدى لها هذه الخدمة وهى مرافقتها له حتى وصولها للمكان الذى تريده، ثم ذهبت وتركته وكذلك تركها هو، ولكنه عاد بعدها على الفور، وظل ينتظرها حتى إنتهت من زيارتها لقريبها، ثم أخذ يتحدث معها ويعرض عليها أن يقوم بتوصيلها مرة أخرى، فوافقت، واستمرا فى الحديث والسمر والضحك، وتبادلا أرقام التليفونات معاً، بالرغم من أن زينب متزوجة، وغير

مقبول أن تأخذ رقم تليفون شخص غريب، ولكنها فعلت ذلك. وظلت الاتصالات تستمر بينهما عن طريق الهاتف لفترة طويلة إلى أن توطدت العلاقة بينهما، ثم بعد ذلك تعددت اللقاءات بينهما بصورة أكبر إلى أن صرح لها العشيق بحبه لها بدرجة كبيرة وأنه لا يستطيع الابتعاد عنها على الإطلاق، أو العيش بدونها.

وكانت زينب فى نفس الوقت قد بدأت تمل وتشعر بالضيق من عيشة زوجها الذى لا يأتى بجديد فى حياته والتى أصبحت أشبه الروتين الحكومى، فاتفقت مع عشيقها على أن يتقابلا فى المنزل فى حالة خروج الزوج إلى عمله، وفى إحدى المرات قامت الزوجة اللعوب بشراء سم فئران ثم قامت بوضعه فى الطعام وقدمته لزوجها وكانت فى هذا اليوم قد إتفقت مع عشيقها على الحضور إلى المنزل، وظل العشيق تحت السرير فى غرفة نوم حضر الزوج وجلس يتناول الطعام الذى أحضرته له زوجته. وعندما وجدته بعد الأكل يتقيأ، ويصرخ من شدة المغص، قامت بمعاونة عشيقها بقتله بآلة حادة بقوة حتى سقط على الأمر مدرجاً فى دمائه ولفظ أنفاسه الأخيرة فى الحال، ثم قامت الزوجة والعشيق بعد ذلك بحمله ليلاً والناس نيام ثم قاما بإلقائه فى الترعة وكأن شيئاً لم يكن ثم عاودا العشيقان بعد ذلك إلى ممارسة الجنس معاً!

ولكن القدر كان لهما بالمرصاد، حيث تم كشف أمرهما خاصة بعدما تم الضغط على الزوجة عندما لوحظ عليها بعض التصرفات المريبة الصادرة منها، وأثناء مواجهتها بالتهمة، إعترفت بجريمتها وبمكان الجثة والعشيق وصدر الحكم بإعدامها وكذلك العشيق.

وهذه الزوجة نسيت حدوث رسول الله ﷺ القائل فيه: «لو كانت آمراً أحد أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها».

وحديث آخر: «من باتت وزوجها غضبان عليها، باتت الملائكة تلعنها حتى الصباح».

«صباح متولى»
اتفقت مع عشيقها على قتل زوجها العجوز!

ما أبشع هذه الجريمة وما أبشع هذه المرأة التى لم تشكر ربها على نعمه التى لا تحصى، فقد تزوجت من رجل استطاع أن يسترها وينتشلها من الفقر الشديد التى كانت تعيش فيه قبل ذلك، ويوفر لها الهدوء والسكينة والإستقرار والذرية الصالحة.. ولكنها أبت كل ذلك من أجل عيون شيطان مجسد فى صورة إنسان لا هم له سوى إرضاء شهوته الجنسية «والبطنية»، فكان جزائها السجن والإعدام شنقاً مع هذا الشيطان وتشريد الأسرة وتفكيكها واختفاء عائلها الوحيد، وأصبح الأولاد بلا أب أو أم فى هذه الدنيا بسبب سلوك هذه المرأة الشيطانة!

وهذه المرأة تدعى صباح متولى، تبلغ من العمر ٣٢ سنة، تزوجت رجل يكبرها بخمسة وعشرين سنة من أجل أن يوفر لها حياة كريمة وتنشأ له أسرة سعيدة يتكأ عليها عندما تهاجمه الأيام وسنين العمر.. وكان هذا الزوج تاجر فاكهة وخضروات وأطعمه، وكانت هذه المرأة على درجة من الجمال، فتم الزواج بينهما، وأنجب منها طفلين ٢، ٤ سنوات.

وبعد فترة من الزواج والإستقرار بين الزوجين والتى دامت حوالى ٦ سنوات متصلة لم يشعر فيها الزوج بأية تغييرات على زوجته التى كانت تنتظر فرصة خروجه من المنزل بحثاً عن لقمة العيش يسد بها أفواه أسرته وساعياً إلى رزق أبنائه حتى تلتقى بجارها البالغ من العمر ٣٣ عاماً. حيث أنه كان يتحين فرصة عدم وجود زوجها بالشقة، ويختلق أى موقف حتى

يستطيع التحدث إليها، ومغازلتها، والغريب فى الأمر أن الزوجة نفسها كانت تستمتع بذلك كثيراً، وتبادله المغازلة، حتى كتب لها ورقة يعبر فيها عن إعجابه بها وإنه كان يتمنى الزواج بها، وأن يشعر بمدى المعاناة التى تعيش فيها!

وبعد فترة سقطت المرأة فى حب هذا الجار الشيطان خاصة وهو قريب منها من ناحية العمر، وعرض عليها أن تقابلا معاً فى شقتها عقب خروج الزوج إلى عمله، ويدءا يمارسا الحب والجنس معاً، وهكذا تحدث هذه العملية الجنسية بين هذه المرأة والجار بصورة يومية تقريباً. وكان أبنائها لا يدركون - بالطبع - شيئاً مما يحدث أمامهما.. واستمر هذا الحال بينهما لمدة عامين تقريباً والزوج لا يعلم عن ذلك شيئاً على الإطلاق!!

وفجأة قررت الزوجة أن تطلب الطلاق من زوجها، حتى تتفرغ لحبيبها وعشيقها الذى زعم لها أنه يحبها ولا يستطيع الإستغناء عنها، وكان يأخذ منها أموال عديدة تحت ظروف واهية وغير حقيقية، وعندما رفض الزوج طلب زوجته الغريب، منعا لتفكك الأسرة وضياع مستقبل أطفالهما. قررت الزوجة بمساعدة العشيق قتل الزوج وتقطيعه أرباً أرباً. وبسرعة قاما بوضع أجزاء جسده وأشلاءه فى جوال من البلاستيك، ثم حملاه على لاسيارة الكارو المملوكة للزوج المذبوح، وقام بإلقاءه فى ترعة المريوطية بالهرم. حتى لا يفتضح أمرها، ثم عادت الزوجة الشيطانة مع جارها الشيطان يحتفلان بهذا النصر وهذه الجريمة البشعة بممارسة الجنس وشرب الخمر.

ويكن بعد مرور يومين بالضبط أبلغت الزوجة الملعونة عن إختفاء زوجها فى ظروف غامضة.

وكانت أجهزة الأمن قد عثرت على الجثة طافية على سطح المياه فى شكل مقزز فى ترعة المريوطية، وليس بها أى دليل على هوية وشخصية هذه الجثة، وهو مفصول الرأس تماماً، وبعد تصويره وعرض الصور على

الجيران قرروا بأنها صورة الزوج الغائب بينما الزوجة أنكرت أن صاحب الصورة بأنه زوجها حتى تنفى عن نفسها التهمة، ولكن بعد الضغط عليه إعترفت بأنها هى التى قتلته بمساعدة عشيقها ولم تكن تدرى أن الشيطان الذى لعب برأسها ثم يدمر حياتها بهذا الشكل وسوف يضيع الأبناء دون أن تعرف مصيرهم بعد أن تعدم، مع عشيقها الشيطان. فخسرت بذلك هذه المرأة الدنيا والآخرة معاً فكانت تستحق أن تكون من أسوأ النساء فى العالم.



الممرضة القاتلة كوثر!!

فى واقعة مأساوية نشرتها الصحف بصورة بالغة وتابعت تفاصيلها بعدة أسابيع متوالية، وكانت بطلة هذه الحادثة «أماً» أو سيدة تعمل ممرضة فى إحدى مستشفيات مدين طنطا وكنت هى الجانى، عندما قامت بقتله بوضع سم فئران له فى كوب الماء ليلفظ بعدها أفاسه الأخيرة على الفور. ثم توجهت الأم القاتلة بعد ذلك إلى قسم الشرطة لكى تعترف بجريمتها وتسلم نفسها للعدالة، وقد أكدت الأم فى إعترافاتها أمام النيابة. ومن أقوال الشهود أن الابن - المجنى عليه - كان دائماً سيئ السلوك. ومن مدمنى الخمور والمخدرات، وبعد وفاة الأب وترك الأسرة المكونة من الزوجة وثلاثة أبناء، منهما بنتان وولد، عملت الزوجة فى وظيفة التمريض - ممرضة - حتى تستطيع مواجهة أعباء الحياة الصعبة، وكان أبناؤها فى مرحلة الصبا والشباب.. فكان الابن المقتول يعمل فى إحدى الورش الخاصة بتصنيع الأحذية، وما يتحصل عليه كل أسبوع ينفقه على مزاجه الخاص واحتياجاته، وملابسه حتى أصبح الابن مدمناً للمخدرات والخمور وكان دائماً يثور ويتعصب لأتفه الأسباب ويصرخ فى وجه أمه، وكذلك شقيقتيه من أجل المال، وقد وصل به الأمر، كما تقول الأم - إلى محاولته إغتصاب شقيقته الصغرى أمامها!!

وفى أحد الأيام حضر الابن إلى المنزل ومعه بعض أصدقائه من أجل أن يمنحه جرعة من المخدرات فرفضت، فما كان منه إلا أن قام بضربها بقسوة، وقد وصل به الحال إلى أن يطلب من أمه وشقيقتيه أن يقدموا

أنفسهم لأصحابه المدمنين وتجار المخدرات ثنى يمارسوا الجنس معهن، وذلك حتى يحصل منهم على المخدرات التى يتعاطاها باستمرار ولا يمكنه الانتظار دون أخذها فى موعدها، وكانت الأم المكلومة تصبر على هذا البلاء وعلى شرور ابنها وتدعو الله فى صلاتها أن يهديه ويشفيه من أمراض البلاء، فكانت تحضر له النقود التى يطلبها دائماً حتى تتقى شروره وسلوكياته الفاسدة، وبعدما فشلت فى علاجه وإصلاحه وبعد أن فاض بها الكيل، قامت الأم بوضع سم فئران فى كوب الماء الذى طلبه منها، ثم قامت بخنقه بحبل غسيل من رقبته، بل وأحكمت قبضة الحبل بشدة حتى لفظ أنفاسه الأخيرة دون مقاومة منه، ثم أخذت بعد ذلك تبكى بكاءاً شديداً، وتنعى حظها العثر على هذا الابن الذى كانت تتمنى أن يكون قائداً لهذه الأسرة ووالى أمرها كبديل عن غياب الأب الفعلى الذى توفى، ولكنه بدلاً من أن يكون مصدراً للأمان بالنسبة لهم باعتباره الرجل الوحيد فى العائلة أصبح مصدراً للشرور كلها، بل وفساد الأسرة كلها وتدميرها.

ثم قامت الأم بعد ذلك بحمله وإلقائه على ناصية الشارع بالحى الذى يعيشون فيه، حتى يرى الناس جثته. بعدما كان يثير الزعر بينهم ويتصرف بشكل خاطئ فيه ويتعامل مع كل الناس بغلظة شديد وبقسوة ليس لها مثيل علاوة على إنه كان مدمناً للهيروين بالفعل.

ثم قامت الأم بعد ذلك بتسليم نفسها إلى قسم الشرطة وتعترف بجريمتها والدموع تملأ عينيها، والحسرة تحيط بكل جوارحها، ولكن لا ينفع الدمع ولا الحسرة والندم، وكان يمكنها أن تصبر عليه وتستعين بأقاربها وجيرانها وأولاد عمه أو خالاته حتى يستوى سلوك الابن أو تمنع عنه أصدقاء السوء، وتبلغ الشرطة عنهم، حتى عن ولدها، حتى يتم علاجه من الادمان ويخرج من حالته المأساوية، وتبتعد عن طريق القتل لإبنها فارتكبت جرعة بشعة للغاية، ضد ابنها العاق الذى كانت سلوكياته غير سوية، ولكنها تسرعت فى هذا السلوك الغير مقبول وتم حبسها وحكم

عليها بالإعدام، وبذلك دمرت أسرتها وبناتها وقتلت فلذة كبدها، وانقلبت حالة الأسرة إلى الأسوأ، وتركت بناتها لوحدهما يواجهون الحياة لوحدهما بكل ما تحمله الحياة من متاعب وشرور وقسوة وذئاب بشرية لا تهدأ ولا تنام!!

وفى نهاية هذه الشخصيات نقول بأننا لا نقصد الإساءة إلى أحد من هذه الشخصيات فهى جميعها مجرد سرد لوقائع قرأنا عنها وتابعناها على أرض الواقع، ومنها ما هو تاريخى، ومنها ما هو معاصر، والاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية.



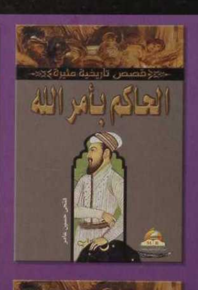
مراجع ومصادر

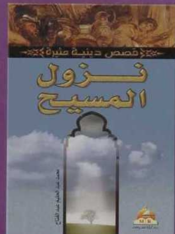
- القرآن الكريم.
- جمهورية مصر العربية، الموسوعة المصرية، تاريخ مصدر القديمة وآثارها، المجلة الأول، الجزء الثانى، القاهرة؛ ١٩٧٨.
- محمود صلاح، ريا وسكينة، (مدبولى الصغير القاهرة: ١٩٩٣).
- فتحى حسين عامر، جرائم الأسرة ـ بداية الإنهيار، (القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٦).
- أمينة السعيد، نساء عاريات، (القاهرة: كتاب اليوم، دار أخبار اليوم، ١٩٩٤).
- محمد على قطب، قصص القرآن، (بيروت: مكتبة التوفيقية، د. ت).
- محمد عبد الجواد، المرأة فى التاريخ الفرعونى، (القاهرة: وزارة الثقافة، ١٩٩٣).
- مجلة روزاليوسف والشباب.
- جريدة الأهرام والوفد.

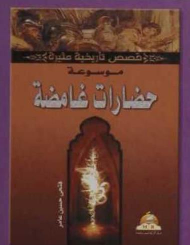
الفهـــرس

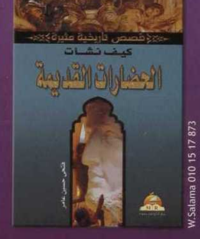


صدر حديثا عن مركز الراية للنشر والإعلام

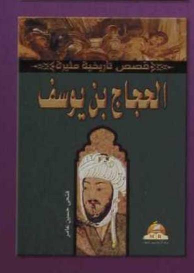














مركز الراية للنشر والإعلام
٣٠ ميدان الحسين - مكتبة فكرى - القاهرة
تليفون : ٥٩٣٦٢١٩ - فاكس : ٧٨٧٠٩٠٦
alraya93@yahoo.com